دراسة فلسفية لبعض الفرق الشيعية

الامامية - الزيدية - النصيرية - البابية والبهائية

تأليف

دكتورة زينب محمود الخضيري

كلية الآداب – جامعة القاهرة

١٩٨٦

دار الثقافة للطباعة والنشر

٢١ شارع كامل صدقي بالفجالة

ت : ٩١٦٠٧٦٠ القاهرة



دراسة فلسفية لبعض الفرق الشيعية

الامامية - الزيدية - النصيرية - البابية والبهائية

تأليف

دكتورة زينب محمود الخضيري

كلية الآداب - جامعة القاهرة



دار الثقافة للطباعة والنشر

٢١ شارع كامل صدقي بالفجالة

ت : ٠٩١٦٠٧٦ القاهرة

إهـداء

الى زوجي الاســـــتاذ

الدكتور حســـن عثمـــان

مقدمة

تواجه الدارس لفرق الشيعة عدة صعاب اولها اختلاف المصادر التى يتعين عليه الرجوع اليها اختلافا بينا ، يصل احيانا الى حد التعارض· فالمصادر السنية عن الشيعة من قبيل الأشعرى والايجى والشهرستانى والقاضى ابى بكر بن العربى تختلف تماما عن المصادر الشيعية مثل حميد الدين الكرمانى والعاملى ومن المحدثين مغنية ومصطفى غالب · فالسنى يأخذ غالبا جانب المعارض للتشيع ولأسسه بينما الشيعى يجتهد فى الدفاع عن عقيدته · والمصادر الشيعية نفسها تختلف فيما بينها وفقا للفرقة التى تنتمى اليها ، وحسب الزمان الذى وضعت فيه · فما جاء عند محمد جواد مغنية ومصطفى غالب يختلف عما جاء فى مصادر الشيعة القديمة · وكل هذه المصادر سواء اكانت سنية أم شيعية تختلف عن كتابات الباحثين الغربيين الذين يتناولون عقائد فرق الشيعة المختلفة تناولا هادئا وموضوعيا فى ظاهره ، وقد يكون مغرضا فى باطنه · بل ان كتابات الباحثين الغربيين اليوم تحتها مصالح سياسية فى أغلب الظن وهو ما لا يمكن لأحد انكاره ، ولذا يصعب الحكم عليها · المصادر تمثل اذن صعوبة بالغة للباحث ولذا كما قال بحق محب الدين الخطيب فى احدى هوامشه على كتاب « العواصم من القواصم » لأبى بكر بن العربى ، لابد من النظر الى ما جاء فى هذه المصادر لا على انها تمثل الحقيقة بل على انها مادة غزيرة للبحث وللدرس ، يعمل النقد العقلى عمله فيها ليستخرج منها الحقيقة · وفى محاولتى هذه لدراسة ست من فرق الشيعة لا خمس كما جاء فى العنوان اذ ان الامامية تنقسم الى اثنى عشرية واسماعيلية ـ التزمت بمنهج المقارنة بين المصادر المتنوعة الانتماءات سعيا وراء الحقيقة ·

اما ثانى الصعوبات التى تواجه الباحث فى هذا المجال فهى التزام الشيعة دائما فى رأى بمبدأ التقية ليس فى حياتهم فحسب بل فى كتاباتهم

مما جعل هذه الأخيرة ملغزة تحتاج للتأويل فى اغلب الأحيان ، فهى تستر اكثر مما تكشف ، مما يصعب معه ادراك مكنونها لغير أهلها . ولذا لم يكن غريب ان يوجه احد علماء الشيعة الاسماعلية لوما شديدا لعالمين مصريين فاضلين كانا على دراية كبيرة بالفكر الشيعى الاسماعيلى لعجزهما عن فهم المضمون الحقيقى لكتاب للكرمانى كانا قد قاما بتحقيقه . فللشيعة دائما اسرارهم وكثير من كتبهم سرية لا يعرفها الا هم .

وسط هذه الصعاب التى ادركتها منذ أول الطريق حاولت السير فى دراستى ، فرجعت للاصول وقارنت النصوص . وهذه الدراسة التى تسعى للالتزام بالطابع الاكاديمى ، لا تهدف الى مهاجمة التشيع بل تهدف الى بيان حقيقته بقدر المستطاع . فالدراسة الأكاديمية ليست صاحبة دعوة . ولو تحقق الأمل وانكشفت لى الحقيقة لساعدنى هذا على الحكم السليم . ولنا فى نهاية دراستنا أن نتساءل هل التشيع هو الاسلام حقا ؟ (الاسلام فى فطرته الأولى) أم هو تحريف لكثير من عقائده ومفاهيمه ودس لما هو غريب عليه ؟ وقد نستطيع الاجابة عن هذه الاسئلة وقد نعجز . أما أن أبدأ دراستى ولدى افكار وأحكام مسبقة تضغط على عقلى طوال الوقت بحجة خدمة الفكر الاسلامى فمما أرفضه لصالح هذا الفكر نفسه . ولهذا رأيت ان تكون دراستى للفرق الست التى تناولتها هنا فى اساسها تحليلا فلسفيا يهدف الى ابراز ما اخذته من العقيدة الاسلامية وما اقحمته عليها من مفاهيم وعقائد مأخوذة من ضروب سابقة من التراث سواء اكان التراث الفارسى ، أم التراث اليهودى — المسيحى ، أم التراث الفلسفى اليونانى .

أصبح الاسلام فى عصرنا هذا مهددا من قبل الانقسامات التى هوى بين مخالبها أبناؤه ، وعلى كل مسلم مخلص دور ينبغى أن يتطلع به حتى يحافظ على سلامته وعلى فطرته الأولى ، ولكل وسيلته . أما وسيلة الباحث فهى الدراسة العلمية الهادئة لا المعالجة العصبية المتعصبة لقضاياه ومشاكله .

بقى أن افسر اختيارى لهذه الفرق الست . لقد اخترت الشيعة الامامية بفرقتيها الشهيرتين الأثنى عشرية والاسماعيلية لكونها أكبر

الفرق عددا وإنتشارا الى يومنا هذا • واخترت الزيدية لأنها اقرب الفرق الشيعية الى اسلامنا السنى ولأن بها مفهوما رائعا للامام ، فالامام الزيدى لا يكون اماما الا اذا كان مصلحا وصاحب قضية • واخترت النصيريه لأنها اكثر الفرق أخذا من الفلسفة • اما البابية فقد عالجتها باعتبارها الأساس الذى افرز لنا تلك البدعة التى لفتت الانظار بقوة فى القرن العشرين ونفى بها البهائية • وما اكثر ما كتب عن البهائية وما اشد تنوع تلك الكتابات • كتب عنها المستشرقون بالطبع ، وبعضهم عايش نشأتها وبعضهم عايش تطورها • وكتب عنها اهلها فجاءت كتاباتهم عجيبة مثيرة تكشف للقارىء عن مدى قدرة البعض على خداع عقول الأخرين • وكتب عنها الذين ادعوا اعتناق البهائية حتى يقفوا على مكنونها ليفضحوا امرها فيما بعد • وكتب عنها اعداؤها بلهجة هجومية متشنجة او ساخرة جارحة لا فائدة منها • فما زال سلاح الحقيقة فى رأى هو أمضى سلاح ، أما الهجوم الغير بصير فلا طائل منه ويسهل رده • وكتب عنها البعض فى غفلة من حقيقتها وقد يذهل القارىء اذا ما وقف على أسماء بعض هؤلاء الغافلين • ودراستى هذه محاولة لكشف الأساس التلفيقى الهزيل الذى قامت عليه البهائية ، وتخبط المفاهيم وتضاربها فى بنائها الهش ، وضآلة الجهد الذى بذله صاحبها لصياغتها • وللقارىء أن يسأل • اذا كان الأمر كذلك فكيف حقق هذا المذهب نجاحا ؟ ولنا أن نجيب بأن البيئة الى نبتت فيها البابئية كانت غارقة فى الجهل والظلم ، فلما جاء بهاء الله ملوحا بأمل كاذب فى الخلاص بهر به البعض دون تمحيص ••• وهل كان هناك بديل لذلك ؟ وبفضل الاساطير التى نسجها الاتباع حول شخصية بهاء الله وبفضل جهود ابنه عباس وحفيده شوقى بعد هذا لتهذيب هذا المذهب ، وبفضل تشجيع بعض القوى له وعلى رأسها اسرائيل عرفت البهائية بعض الرواج • والتصدى للبهائية لن يكون ابدا بمهاجمتها بلهجة طنانة انما يكشف حقيقتها •

اما بعد فقد وضعت هذه الدراسة فى بادىء الأمر فى شكل مقالات من أجل عمل موسوعى لم يكتب له أن يرى النور ، ومنذ ذلك الحين وأنا معنية بفرق الشيعة المختلفة ، وبمواصلة قراءاتى عنها • وعندما رجعت لهذه المقالات ادخلت عليها العديد من التعديلات اما بسبب قراءاتى

الجديدة واما لتغيير طرأ على منهجى وعلى نظرتى ، الا انه تعـذر على تغيير شـكل التوثيق الذى التزمت به فى بادىء الأمر ، ولذا فانا اقـدم عذرى عن ذلك • وكل ما ارجوه أن أكون قـد ساهمت بجهـد ولو ضئيل فى مجـال دراسة الفـرق الشـيعية التى ما تزال لم تلق ما تسـتحقه من اهتمام • وعلى الله قصد السبيل ؟

زينب الخضـيرى

الفصل الأول

الشـيعة الإماميـة

اولا : نظـرة عـامة عليهـا :

١ ـ نظرة تحليلية لنشأة التشـيع وتاريخه :

يجدر بنا قبل الحديث عن الشيعة الامامية أن نعرض للتشيع بشكل عام . تستخدم كلمة الشيعة فى اللغة العربيـة للاشارة الى صحب أو أنصار شخص ما . ويعتمد الشيعة ، فى محاولتهم لرد التشيع الى زمن الرسول ـ كما جاء فى لسان العرب ـ على ان عددا من المسلمين لازموا على بن أبى طالب فى حياة النبى وجعلوه اماما مبلغا عن الرسول وشارحا مفسرا لتعاليمه ، فصاروا يعرفون بشيعة على . والشيعى فى نظر الشيعة ليس من يحب عليا ولا يبغضه فحسب ـ والا انطبق هذا اللفظ على أكثر المسلمين ـ بل هو من يقتدى بعلى ويتبعه ويلتزم بهذا الموقف طوال الوقت .
أما الشيعة الامـامية فهم فـرق الشيعة التى تتمسـك بسلسلة معينة من الأئمة من نسل على وان اختلفت فيما بينها فى تحديد هؤلاء الائمة وفى عددهم . وفى البدء كان يطلق على الشيعة اسم العلويين ثم اختفى هذا اللقب لفترة طويلة ليعود للظهور مرة أخرى فى أيامنا هذه .

والدراسة التحليلية النقدية لتاريخ الشيعة تثبت انه على اثر مقتل عثمان بن عفان انقسم المسلمون الى حزبين : حزب على وحزب معاوية ابن أبى سـفيان . والحـزب يطلق على أعضائه فى لغتنا العربية اسم الشيعة فكانت شيعة على فى مقابل شيعة معاوية . وبتولى معاوية الخلافة أصبح استعمال هذا اللفظ مقصورا على اتباع على بن أبى طالب الذين لم يختاروه زعيما فى بداية الأمر لأنه ابن عم الرسول وصهره وأبو أحفاده ـ اذ ان حق الأقربين فى وراثة الرياسة وكأنها ملك خاص لم يكن معترفا به بعد عند العرب فى ظل الاسلام ـ وانما اختاروه لأنه بدا لهم أفضل صحابة الرسول الأوائل . الا أن تطور الأحداث التاريخية حول موقف هؤلاء

الشيعة فلم يعدوا يكتفون فحسب بتأييد حق على فى الخلافة بل أصبحوا يتمسكون بأن يكون هذا الحق لمن هم من نسله من بعده مما جعلهم يعتبرون كل من الأسرة الأموية والعباسية مغتصبتين لهذا الحق ·

ويجتهد الشيعة فى اثبات حق على فى خلافة رسول الله اعتمادا على تأويلات خاصة لبعض الآيات القرانية ولبعض الأحاديث النبوية · ومن هذه الآيات : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (الآية ٥٥ من سورة المائدة) · ويزعم الشيعة أن المقصود بها على وانها نزلت حين أعطى على السائل خاتمه وهو راكع فى الصلاة · ومن أهم الأحاديث النبوية التى يعدونها نصا على خلافة على للنبى صلى الله عليه وسلم الحديث المعروف بحديث غدير خم الذى أشار فيه الرسول الى على بقوله « ومن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » · وثمة حديث ذكر فى كتاب المغازى من صحيح البخارى ، وفى فضائل الصحابة من صحيح مسلم ونصه « الا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبى بعدى » وهو موجه لعلى وللحديث رواية أخرى « أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبى بعدى » · واذا كان هذان الحديثان وغيرهما دليلين على نص الرسول على خلافة على له من وجهة نظر الشيعة ، فللسنة أن تبرز من الاحاديث الصحيحة ما يمكن تأوله بما يدل على استخلاف الرسول اما لأبى بكر أو لعمر بن الخطاب · جاء فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يتكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فان يكن فى أمتى منهم أحد فعمر » · وجاء فى مسند أحمد عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة أن الرسول قال لها وهو فى مرضه : « ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فانى أخاف أن يتمنى متمن ويقول : أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر » · وأهل البيت أنفسهم يرفضون فكرة أن الرسول نص على خلافة على له ، فلقد نقل الحافظ بن عساكر عن الحافظ البيهقى حديث فضيل بن مرزوق أن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب سئل فقيل له · « الم يقل رسول الله صلى الله وسلم « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، فقال

« بلى ، ولكن والله لم يعن رسـول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الإمارة والسلطان ، ولو اراد ذلك لأفصح لهم به ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح للمسلمين · ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولى أمركم والقائم عليكم من بعـدى ، فاسمعوا له واطيعوا · والله لئن كان الله ورسوله اختار عليا لهذا الامر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك على امـر الله ورسوله ، لكان علي أول من ترك امـر الله ورسوله » · ورواه البيهقى من طرق متعددة فى بعضها زيادة وفى بعضها نقصان وان كان المعنى واحـد · بل ان عليـا نفسه اكد أن الرسـول لم يستخلفه ! روى الامام أحمد فى مسند عن وكيع عن الأعمش عن سالم ابن أبى الجعد عن عبد الله بن سبع قال « سمعت عليا يقول (وذكر انه سيقتل) قالوا : فاستخلف علينا · قال : لا ولـكن اترككم الى ما ترككم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم · قالوا : فما تقول لربك اذا اتيته ؟ قال : اقول : اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتنى اليك وانت فيهم ، فان شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم » · ونقل الحافظ بن كثير في البداية والنهاية عن الإمام البيهقى من حديث حصين بن عبد الرحمن عن الامام الشعبى عن أبى وائل شقيق ابن سلمة الأسدي أحد سادة التابعين انه قيل لعلى : الا تستخلف علينا ؟ قال : « ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخلف ، ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » · وهذا الحديث جيـد الاسـنـاد · .

ويزعم الشيعة أن النبى كان اول من أطلق لفظة الشـيعة على من أحب عليا وتابعه ، وهم يستندون لاثبات ذلك الى ما جاء فى مؤلفـات السنة مثل « الدر المنثور » للسيوطى الذى جاء فيه أن النبى قال « ان هذا – واشار الى على – وشيعته لهم فائزون يوم القيامة » ، وكتاب « النهاية » لابن الأثير الذى جاء فيه ان النبى قال « يا على انك ستقدم على الله انت وشيعتك راضين مرضيين » · وهم يتأولون هذين الحديثين بأن الرسول دعا الى التشيع لعلى تماما كما دعا الى شـهادة أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله ! ومن الجلى انه هذه المحاولة الجريئة من جانب الشيعة لارجاع بداية التشيع الى عهد الرسول بل لارجاع الدعـوة للتشيع الى

الرسول ذاته ، ما هى الا محاولة لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة الى اصول اجنبية ٠

وثمة راى ثان او نظرية ثانية فى اصل التشيع – وهى اخطر ما يواجهه الشيعة – تذهب الى ان عبد الله بن سبأ كان اول من دعا الى التشيع لعلى ٠ وعبد الله بن سبأ هذا او ابن الأسود يقال عنه انه كان يهوديا ظهر فى عهد عثمان وكان اول من دس فى الاسلام مفهوم الوراثة الروحية او الوصاية بحجة ان لكل نبى وصيا وأن عليا هو وصى محمد ، بل ذهب الى حد تقديس على وتاليهه ٠ وكان يقول له « أنت أنت » يعنى «أنت الله» ٠ ويذهب بعض الباحثين المسلمين الى ان ابن سبأ كان يريد بهذه الدعوة هدم وحدة العالم الإسلامى والاساءة الى الاسلام ، وان التشيع برمته خروج على العقيدة الاسلامية ٠ ويحرص علماء الشيعة الامامية بالطبع على ابعاد هذه الشبهة عنهم ولذا يهاجمون بقسوة ابن سبأ وكل فرق الغلاة التى ذهبت مذهبه من حيث تقديس على ، بل يذهبون الى حد التشكيك فى وجوده اصلا ، ويعتبرونه شخصية خرافية ابتدعها خيال أعداء الشيعة ٠ وانصافا للحق نقول ان بعض العلماء المحدثين الغربيين مثل فلهاوزن وفريدليندر وبرنارد لويس يذهبون الى نفس الراى وان كان تعاطف هؤلاء مع الشيعة امرا واضحا ٠

اما النظرية الثالثة فترجع بدء التشيع الى أول خلاف حول المبادىء الاسلامية ونعنى به ذلك الذى ظهر اثناء التحكيم ٠ كان الخوارج هم اول من اثار مشكلة الامامة فكان لابد لأنصار على من مواجهة الخوارج لا من حيث هم قوة سياسية فحسب ، بل من حيث هم ممثلون لعقيدة سياسية ٠ اراد الخوارج للامامة ان تكون قضية عامة بالنسبة للمسلمين كافة ، واراد لها الشيعة ان تكون محصورة فى آل البيت فحسب ، او بمعنى أدق فى نسل على بن ابى طالب وفاطمة بنت الرسول ٠

وأما النظرية الرابعة فى مسالة اصل التشيع فترجعه الى اصل فارسى، اذ اعتنق بعض الفرس فى رأيهم الاسلام وفى نيتهم العمل ضده بخلقهم مشاكل للحكومة الاسلامية ، وببثهم فى الاسلام احلام وامال مذهب زرادشت ٠ وعلى راس القائلين بهذه النظرية البارون كارا دى فو ودوزى٠

ويعترض الشيعة على هذه النظرية بأنه وإن كان صحيح أن اراء الشيعه كانت تلائم الفرس فان هذا لا يعنى انها انبعثت منهم اذ تجمع الروايات التاريخية على أن التشيع الواضح الصريح وجد أولا فى الدوائر العربيه ثم انتقل منها الى الموالى . وحتى السبائية وهم علاة الشيعة فلم يكونوا من الموالى بل عربا من عشائر نهد وثور وسام كما جاء عند الطبرى . ويؤيد فلهاوزن راى الشيعة هذا . سواء صح الراى الأول او صح الثانى فالشىء اليقينى هو ان الفرس رحبوا بشكل المعارضة التى كان يرتكز عليها التشيع ولهذا تحالفوا مع هذا الشكل من الفكر الاسلامى واستطاعوا ان يؤثروا بشكل ما على تطوره بعد ذلك بواسطة تراثهم القديم الخاص بتأليه الحكام . ولقد رحب الفرس فى رأينا بهذا الشكل من الفكر الاسلامى لأنهم كانوا يأملون بانضمامهم لصفوف على استعادة سيادة جنسهم على بقية أنحاء الدولة الاسلامية عندما تصبح الكوفة كما كانت فى عصر على هى عاصمة الدولة الاسلامية . ومعنى هذا أن تشيعهم كان فى بادىء الأمر لأسباب سياسية ثم اكتسى بسرعة بطابع دينى ليكون أعمق أثرا فى النفوس . غير أن التشيع كعقيدة لها أراؤها الكلامية لم يتبلور الا بعد أن توالت أحداث الامة كمقتل على فى ٢١ رمضان عام ٤٠هـ ، وكفاجعة كربلاء التى قتل فيها الحسين وعدد كبير من آل البيت فى يوم عشوراء أى فى العاشر من محرم عام ٦١هـ ، بل ربما بعد هذه الاحداث بعشرات الأعوام .

واذا كانت هذه هى المحاولات الأربع للوقوف على اسباب التشيع فقد حاول الدكتور احمد صبحى فى دراسته عن الزيدية تجاوز تلك المحاولات ليقف على الأسباب الحقيقية الباطنية الكامنة وراء التشيع . ونجح فى أن يتبين عدة أسباب أولها الخلل الاقتصادى الذى أراد على اصلاحه . لقد أراد على أن يفرض على الناس المساواة التى تحققت فى زمن الرسول وشوهها من بعده البعض بتهافتهم على جمع الثروات ، وبسعيهم للحياة المترفة على حساب الآخرين . وبالفعل قام على بعدة اجراءات فى سبيل تحقيق هذا الهدف الاقتصادى ـ الاجتماعى لتستقيم الحياة فى المجتمع الاسلامى . ولا بد أن أصحاب هذه الطبقة المستغله التى ابتعدت عن روح المساواة الاسلامية استاؤا من هذه السياسة ولابد

انهم حاولوا التحريض ضد صاحبها . ولا بد كذلك ان ثمة من ناصر عليا فى خطواته هذه وتشيع له . وثانى أسباب التشيع هو أن عليا أراد أن يعدل الهرم الاجتماعى المقلوب ذلك الهرم الذى كان على قمته بنى أمية وكان فى سفحه الأنصار والشعوب المغلوبة . اما ثالث هذه الأسباب فهو ان عليا أراد أن يقوم الوضع السياسى المختل الذى أوجده عثمان بمجاملته للولاة من أقاربه . ورابع هذه الأسباب هو انه تمسك بمجموعة من القيم لم يشاركه فى الايمان بها فى حياته الا قلة نادرة ، وبسبب هذه المثالية أخفق على سياسيا ولكن استشهاده أضفى عليه هالة من التقديس، وخامس هذه الأسباب موعظمة شخصية على التى كانت تجسد مجموعة نادرة من القيم التى كلما اجتمعت فى شخص واحد . كان التشيع اذن نتاج لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية بعينها .

ولو تتبعنا تاريخ التشيع لتبينا ان العلويين ظلوا مضطهدين طوال حكم الدولتين الأموية والعباسية مما دعاهم الى تكوين تنظيمات سرية تعقبتها السلطة دائما إذ كان القضاء على العلويين هو هم الحكام الذين رأوا فى دعوة هؤلاء السرية ــ الثورية ما يهدد أمن الدولة . وفى عصر العباسيين كان التنكيل بالعلويين أعنف لأن الدعوة العلوية هى التى سمحت لهم بالقضاء على الأمويين فى منتصف القرن الثامن الميلادى وباقامة دولتهم . وبالرغم من كل هذا الاضطهاد المستمر لم تضعف عقيدة الشيعة ولم يخبو الأمل فى الاستيلاء على الحكم بل نجح الشيعة فى تأسيس عدة دول عبر التاريخ مثل دولة الادارسة فى المغرب ، ودولة العلويين فى الديلم ، والبويهيين فى العراق ، والحمدانيين فى سوريا ، والفاطميين فى مصر ، والدولة الصفوية فى ايران . وبعض هذه الدول عملت على ازدهار الحضارة فى ظلها كما فعلت الدولة الفاطمية التى بنت المدن وعلى رأسها القاهرة ، وشيدت دور العلم وعلى رأسها بالطبع الجامع الأزهر الشريف الذى يعد بحق أعظم المؤسسات العلمية فى الاسلام ، كما بنوا المساجد والقاهرة مليئة بعدد منها .

وما زالت بعض الدول الشيعية موجودة حتى الآن ومنها ايران والعراق ، فكيف استمر التشيع فى اليوم بالرغم من تلاشى أسباب وجوده

منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ؟ كان هذا هو السؤال الجديد الذى طرحه الدكتور احمد محمود صبحى فى دراسته عن الزيدية · تساءل : ما هى الأسباب الحقيقية وراء استمرار الخلاف حول الخلافة ؟ وانتهى الى أن المشكلة فى حقيقة امرها لا تتعلق باشخاص على وأبى بكر وعمر ومعاوية ، والا لسقطت من تلقاء نفسها عقب وفاة هؤلاء ، انما لابد وأنها أعمق بكثير · وهى كذلك بالفعل ، فهى تتعلق بخلاف حول المبادىء ، أو بلغة العصر هى تتعلق بخلاف ايديولوجى يدور حول أصلح نظم الحكم : هل هو نظام الامامية الروحية أى بلغة العصر نظام الحكم الثيوقراطى ، أم هو نظام الخلافة الزمنية السياسية الانسانية القائمة على الشورى والأخذ بالرأى وفتح باب الاجتهاد ، أو بلغة العصر النظام الديمقراطى ؟

وقبل ان نعرض لأنواع فرق الشيعة الامامية نقول ان الفرق فى الاسلام سواء أكانت شيعية أم غيرها هى تلك المذاهب التى تخالف المذهب السنى · وبالنسبة لفرق الشيعة فقد اتضح مما سبق أن الخلاف بينها وبين السنة نشأ لأسباب سياسية ، ولكن سرعان ما اصطبغ هذا الخلاف بالصيغة الدينية ، وهذا ما يحدث عادة فى المجتمعات التى تقوم على أساس دينى · وقد مرت العقيدة الشيعية بمرحلتين ، الأولى كانت مرحلة تسليم الجميع بها دون خلاف أو نزاع ، أما الثانية فهى مرحلة الانقسامات والخلافات بين المؤمنين بها ، تلك الخلافات التى بدأت باستشهاد الحسين ابن على بن أبى طالب · وبوجه عام يمكننا القول ان الشيعة انقسمت الى أربعة فرق رئيسية : الكيسانية والامامية والزيدية والغلاة · وانقسمت كل فرقة من هذه بدورها الى فرق يختلف المؤرخون فى عددها · والامامية وهى الفرقة التى تعنينا هى القائلة بامامة على بعد النبى وبأن الامامة بعد على كان لابد وأن تكون فى ذريته من فاطمة وبأنها بالنص · وقد أطلق عليها لقب الامامية لاشتراطها معرفة الامام وتعينه ·

وانقسمت الشيعة الامامية عبر تاريخها الي خمس عشرة فرقة اشهرها الأثنى عشرية والاسماعيلية اللتين اختلفتا بصدد الامام الذى يجب أن يخلف الامام جعفر الصادق عند وفاته عام ١٤٧هـ · أما الاثنا عشرية ، وكانت تمثل فرقة الأكثرية فرأت أن تكون الامامة لموسى الكاظم ابن جعفر الصادق وسلسلت الامامة بعد ذلك فى الأكبر سنا من عقبه الى

الامام الثانى عشر وهو محمد بن الحسن الذى دخل سردابا في سامراء واختفى فيه حوالى عام ٢٦٠هـ ، وهو الذى يدعون أنه سيخرج منه كمهدى منتظر · وأما الاسـماعيلية فهى التى قالت بامامة اسماعيل بن جعفـر الصادق بالرغم من وفاته فى حياة أبيه ، وبالتالى قالت بامامة عقبة ·

أما بقية فرق الشيعة الامامية كما يذكرها المؤرخون فقـد اندثرت تماما ولم يبق منها الا الفرقتان اللتان ذكرناهما ونعنى بهما الاثنى عشرية والاسماعيلية · والفرق المندثرة هى فرقة الكاملية التى تكونت من أتباع أبى كامل الذى زعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على الذى كان عليه قتالهم ولذا لم يعذره عن القعود ؛ وفـرقة المحمدية التى تنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن على بن ابى طالب اذ لا تصـدق قتله أو موته وتذهب الى أنه سيخرج يوما من جبل حاجز ناحية نجـد ، وهو المهدى المنتظر لأن اسمه محمد كاسم رسـول الله واسم أبيه هو عبد الله كاسم أبى رسول الله · وفرقة البـاقرية التى ساقت الامامة من على بن أبى طالب الى محمد بن على المعروف بالباقر ، وذهبت الى أن عليـا نص على امامة ابنه الحسن الذى نص بدوره على امامة أخيه الحسين الذى نص على على زين العابدين ، الذى نص على محمد المعروف بالباقر وهو فى رأيها المهدى المنتظر · ومن الفرق المندثرة كذلك فرقة الموسوية وهى التى ساقت الامامة بعد جعفر الصادق الى ابنه موسى بن جعفر وزعمت أن هذا الأخير حى لم يمت وأنه هو المهدى المنتظر اذ دخـل دار الرشيد ولم يخرج منها ! والغريب أن هذه الفـرقة كانت تتمسك بكون موسى بن جعفر لم يمت بالرغم من وجود قبره فى الجانب الغربى من بغداد ، وهو ذلك القبر الذى يزار الى اليوم ! · أما فـرقة المباركية · فهى التى تقصر الامامية على عقب محمد بن اسماعيل · والعجيب أن أصحاب الأنساب ذكروا فى كتبهم أن محمد بن اسـماعيل هـذا مات ولم يعقب · والفرقة الهاشـمية وهى تنقسم الى فرقتين ، فـرقة تنسب الى هشام بن الحـكم الرافضى ، والثانية تنسب الى هشام بن سالم الجواليقى ، والفرقتان تقولان بالتجسيم وبالتشبيه وتنكران علم الله المسبق بأفعال العباد لأنه فى رأيهما لا يصح القول عندئذ باختيار العباد لأفعالهم ولا بتكليفهم ؛ والقرآن عند هاتين الفرقتين لا هو خالق ولا هو مخلوق · ومن الفـرق المندثرة كذلك

الفرقة الزرارية نسبة الى زرارة بن أعين وبدعته أن الله لم يكن حيا ولا كان قادرا ولا سميعا ولا بصيرا ولا عالما ولا مريدا حتى خلق لنفسه حياة وقدرة وعلما وارادة وسمعا وبصرا . وهناك ايضا فرقة اليونسية نسبة الى يونس بن عبد الرحمن القمى الذى افرط فى التشبية . والفرقة الشيطانية نسبة الى محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاق والذى كان من أكبر دعاة الشيعة فى زمن الامامين زيد وابن أخيه جعفر الصادق ، وهو صاحب تلك البدعة التى أصبحت من عقائد الشيعة الأساسية ونعنى بها أن الامامة معهود بها الى الأشخاص بأعينهم . والفرقة الشميطية نسبة الى يحيى بن أبى شميط التى رأت أن الامامة بعد جعفر الصادق كانت من حق ابنه محمد . وهناك أيضا الفرقة الناوسية التى اختلف فى نسبها المؤرخون فمنهم من ينسبها الى عجلان ابن ناوس ومنهم من ينسبها الى قرية ناوسا التى ذهبت الى أن الصادق لم يمت وأنه هو القائم المنتظر . وهناك أخيرا الفرقة العمارية .

ويمكننا القول ان الخلاف بين فرق الشيعة الامامية انحصر أساسا فى الخلاف فى عدد الائمة وفى تعيين اسمائهم وأشخاصهم وان اتفقت جميعها على أن الامام يعين بالنص لا بالانتخاب . وأهم هذه الفرق كما سبق أن قلنا والتى مازالت باقية حتى الآن هى كل من الأثنى عشرية والاسماعيلية . ولضخامة عدد الاثنى عشرية أكد المؤرخون القدامى وعلى رأسهم ابن خلدون ، وهو ما يمكننا تأكيده اليوم كذلك ، أن اسم الشيعة الامامية يعني به أحيانا الاثنى عشرية دون غيرهم من الفرق . ولقد بدأ الخلاف بين الاثنى عشرية والاسماعيلية ـ كما سبق أن بيننا ـ على اثر وفاة جعفر الصادق حول الامام الذى يخلفه . وسرعان ما تحول هذا الخلاف الى خلاف عقائدى نتيجة لتأثر الاسماعيلية بعقائد فارسية لا سيما المزدكية ونتيجة لأخذها بمفاهيم يمكن وصفها بالاشتراكية ولاقتباسها لكثير من مفاهيم الفلسفة اليونانية ولا سيما الفلسفة الفيثاغورية والافلاطونية والافلوطينية .

ونرى البدء بدراسة المفاهيم المختلفة التى تكونت منها العقيدة الامامية ، على أن تكون هذه الدراسة تحليلية وتاريخية معا ، فاذا

ما انتهينا من ذلك عنينا بدراسة مفاهيم كل من الاثنى عشرية والاسماعيلية مبرزين الفوارق بينهما ، فان ذلك من شأنه توضيح أثر كل العوامل التاريخية وفى مقدمتها العامل السياسى التى ساهمت فى تكوين عقيدة كل منهما ٠

٢ ـ مفهوم الامامية عند الشيعة الامامية :

امتزجت العقيدة عند الامامية بالسياسة وبالفلسفة معا خاصة فيما يتعلق بمسألة الامامية والخلافة والملك ، ولذا يمكننا القول أن لهم فيها نظرية متكاملة واضحة العناصر ٠ ان الاسلام يأخذ بكون الخلافة حق لمن يختاره المسلمون الا أن مقتل على وولديه من بعده جعل الشيعة يخرجون على هذه العقيدة وجعلهم يقولون بعكسها ،(١٠) أى بأن الخلافة حق بالوراثة لآل على وجعلوا منها عقيدة دينية ، بل اصبحوا ينظرون للخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ولكل الخلفاء بعد على على أنهم خلفاء غير شرعيين للنبى ٠ وأصبح على وذريته فى رأيهم هم الحكام الشرعيين وهم وحدهم ائمة المسلمين ٠ وهكذا أصبحت عقيدة الامامة هى حجر الزاوية فى عقيدة الشيعة وهى الأساس الذى تختلف فيه عن الاسلام السنى ٠ وأصبح لفظ الأمام لدى مفكرى الاسلام السنيين منهم والشيعة على حد السواء يعنى الحق الشرعى ، بينما أصبح لفظ الخليفة يشير الى صاحب السلطة الفعلية ٠ ولفهم نظرية الشيعة فى الامامة لابد من الوقوف على الفارق بين مفهوم السلطة الدينية للخليفة عند السنة ومفهوم السلطة الدينية الشرعية للامام عند الشيعة ٠ ان الاسلام يعتبر الخليفة موجودا لضمان تحقيق الواجبات والحقوق الاسلامية ، أى انه باختصار يمثل السلطة القضائية والسلطة الادارية والسلطة التشريعية للدولة معا ٠ وهو يخلف من سبقه اى يتولى منصبه أما بالاختيار من قبل المسلمين واما نتيجة لتحديد من قبل سابقة وهو ما كان يحدث عند ما اصبحت الدولة الاسلامية تتبع النظام الملكى الوراثى منذ قيام الدولة الأموية على اثر مقتل على بن أبى طالب ٠ أما عند الشيعة فالامام على العكس هو ـ بفضل مجموعة من الصفات التى من الله عليه بها ـ حامى الاسلام وأعظم علمائه وهو وريث رسالة النبى ولذا فهو يحكم ويعلم باسم الله ٠ وهو عندهم أعلى مرتبة من كافة البشر بفضل صفاته الفائقة للطبيعة البشرية ٠

فالشيعة يؤمنون بأن عنصرا نورانيا والهيا انتقل من آدم الى بني ذريته المختارين من قبل الله الى ان حل فى عبد المطلب جد كل من محمد رسول الله وعلى بن أبى طالب ، ثم انقسم هذا القبس اللدنى فذهب بعضه الى عبد الله والد محمد وذهب بعضه الآخر الى أبى طالب والد على ، ثم انتقل هذا القبس النورانى الى ذرية على بن طالب زوج فاطمة ابنة الرسول وهى الوحيدة من أبنائه التى انجبت ، انتقل من امام الى آخر فى هذه الذرية . وهذا القبس او هذه النفحة الالهية هى التى تجعل من كل امام من هؤلاء اماما لعصره ، وتمنحه قوة روحية عظمى تجعل منه أعلى مستوى من سائر البشر اذ ان نفسه اكثر نقاءا عن سائر النفوس .

واذا كانت أركان الاسلام السنى أربعة هى التوحيد والنبوة والمعاد والعمل بالفروض الخمسة فقد اضافت الشيعة الامامية ركنا خامسا لهذه الاركان وهو الاعتقاد بأن الامامة اختيار الهى تماما كالنبوة . فكما يختار الله من يشاء من عبادة للنبوة والرسالة ويؤيدها بالمعجزة التى هى بمثابة نص الله عليه ، كذلك يختار للامامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص علية كامام للناس من بعده للقيام بالوظائف التى كان النبى يقوم بها فى حياته . والفارق بين النبى والامام يتمثل فى أن الامام لا يوحى اليه كالنبى ، انما هو يتلقى الأحكام من النبى . فالنبى مبلغ عن الله والامام مبلغ عن النبى . الامامة عند الشيعة اذن منصب الهى ولذا يمكننا القول ان الشيعة أدخلوا النظام الثيوقراطى فى الاسلام وفى حضارته العربية . وكان هذا النظام الذى يقدس الحكام ويعتبرهم أنصاف الهة معروفا فى العصور القديمة فى كل الدول الكبرى القديمة مثل الدولة المصرية الفرعونية والدولة البابلية والدولة اليونانية والرومانية . وبالرغم من ان القرآن اكد بشرية محمد بما جاء فيه « وما انا الا بشر مثلكم » واكد بذلك من باب أولى بشرية كل من يخلفه فقد دس الشيعة هذا المفهوم الغريب على روح الاسلام بل وعلى العقلية العربية . وكان أول الائمة عند كافة الشيعة هو بالطبع على بن ابى طالب الذى أمر الله نبيه فيما يزمون بأن ينص عليه ليكون خليفة للمسلمين واماما لهم من بعده . ويذهب الامامية الى حد الاعتقاد بان الرسول كان يخشى أن يثقل على الناس بنصه على على ويخشى أن يتهم بمحاباته لابن عمه وصهره ولكن الله أوحى اليه

« يا أيها النبى بلغ ما انزل عليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ، وهم يتاولون هذه الآية بما يخدم عقيدتهم متجاوزين دلالتها الحقيقية ٠

وعند الشيعة الامامية أن الامامة ليست قضية مصلحية ، أى انها ليست من المصالح العامة التى يفوض بشانها للأمة ، أى أن الأمــة ليس من حقها اختيار الامام ، انما الامامة عندهم قضية أصولية أى هى ركن من اركان الدين كما سبق أن ذكرنا ، وقاعدة من قواعده لا يجوز للنبى اغفالها أو تفويضها للأمة بل يجب عليه النص على الامام ٠ الامام اذن يحــكم بارادة الله لا بارادة النــاس ، ونصبه واجب على الله عقلا لحفظ قوانين الشرع ورفع الفساد واقامة الحدود ٠ وهذا يمثل خلافا أساسيا بين الشيعة الامامية وبين أهل السنة الذين يقولون بوجوب الامامة سمعا ولا ينكرون وجوبها عقلا وان كان الدليل السمعى عندهم سابقا على الدليل العقلى ٠ وللشيعة ادلتهم على القبــول بالوجوب العقلى فى هذا المقــام ، وهى ادلة تتفق مع مفهوم الامامة لديهم ومع قدر السلطات التى منحوها للامام ٠ ومن ادلتهم على أن الامام يحكم باسم الله لا باسم الشعب ، وعلى ان طاعته واجبه ما جاء فى القرآن من أن « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر » و « وربك يخلق ما يشــاء ويختار ما كان لهم الخيرة » ٠ وغيرها من الآيات التى يتاولونها تاويلا يتفق وعقيدتهم ٠ ومن أدلتهم على أن الأكثرية غير معصومة من الخطأ ، ولذا قد تختار شخصا لا تتوافر فيه صفات الامام من علم وخلق فتعم الفوضى والفساد ، ما جاء فى القــرآن من آيات عديدة من قبيل « وأكثرهم لا يعقــلون » (الآية ١٠٣ من ســورة المــائدة) ٠٠ وتذهب الامامية الى ان وجود كتاب الله لا يكفى وحده لدفع الفساد اذ لابد من امام عالم بما فيه يفسره فيحول دون اختلاف الفــرق فى تفسيره ، ذلك أن آيات القرآن مجملة ، وأكثر الأحكام غير واضــحة فى ظاهر القرآن فلا بد من وجود مفسر من قبل الله ليستنبط الأحكام منه ٠ الامامة اذن لها فائدتها للناس ولذا يجب الا يحرمون منها ٠ وبذلك يكون نصب الامام لطفا من قبل الله ، وكل لطف فى رأيهم واجب على الله ! وفكرة اللطف هذه مما اخذه الامامية من المعتزلة : الامامة اذن عند الشيعة هى النتيجة الحتمية للعدالة الالهية ، فالله لا يحرم أى جيل من ارشاد الامام ،

ووجود امام فى كل عصر أمر ضرورى اذ أن هدف التشريع والهداية لا يمكن أن يتحقق فى حالة غيابه .

ويذهب بعض الباحثين الغربيين (وعلى رأسهم كارا دى فو) الذين يدفعهم تحيزهم للشيعة الى تصور التشيع على أنه نضال الفكر الحر الواسع الأفق ضد السنة التى يتحاملون عليها فيعتبرونها تجسيدا للفكر الجامد ، يذهب هؤلاء الى أن التشيع يمثل رد فعل العقلية التحررية ضد الرجعية المتحجرة ، وحقيقة الأمر عكس ذلك تماما فيما يبدو لنا ، فالتشيع برفضه لفكرة اختيار الخليفة وبتعصبه لفكرة السلطة المطلقة لبعض الشخصيات المعصومة من الخطأ والمتميزة بنفحة الهية والتى لا تختار من قبل المسلمين انما هى مفروضة عليهم نصا وشرعا ، قد اقام سدا منيعا امام كل حرية فكرية .

ويتفق الشيعة الامامية سواء أكانوا اثنى عشرية أم اسماعيلية مع السنة فى بعض شروط الامامة ، ويختلفون معهم فى البعض الآخر . فمن النمط الأول من الشروط التى يتفق فيها الطرفان أن يكون الامام عادلا لئلا يجور ، بالغا لقصور عقل الصبى ، ذكرا اذ ان النساء ناقصات عقل ودين ، حرا لئلا تشغله خدمة السيد ولئلا يحتقر فيعصى . اما الشروط التى يقول بها الامامية دون السنة فهى أن يكون الامام قرشيا ، وان يكون هاشميا بالذات ، وان يكون عالما بجميع مسائل الدين ، وأن يكون معصوما كالنبى من الخطأ والخطيئة والا زالت الثقة به . وقوله تعالى « انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » صحيح فى رأيهم فى لزوم العصمة فى الامام . كما أن من شروط الامام عند الامامية ان يكون افضل أهل زمانه فضيلة ، وأعلمهم بكل علم لأن الغرض منه تكميل البشر وتزكية النفوس ، فضلا عن العلم الدينى الذى يستطيع كل المسلمين تحصيله فان الأئمة يمتازون بعلم خفى ينتقل من امام الى آخر وهو علم بكل حقائق الدين وبكل ما سيحدث فى الكون فى المستقبل ؛ فلم يكن على يعرف فحسب المعنى الحقيقى للقرآن وهو ما يخفى على الفهم العادى بل كان عليما ايضا بما سيحدث حتى يوم البعث . ولقد انتقل علم على هذا فى شكل عقيدة سرية الى الأئمة من آل بيته فاعتنقوها وهم

بدورهم ملهمون ولا ينطقون الا بالحق · من اجل كل هذه الصفات يعد الائمة عند الشيعة الامامية أعلى سلطة علمية ، كما أنهم بمثابة المستكملين الشرعيين لرسالة النبى · وبقدر ما رفعوا من قدر علم أئمتهم بقدر ما حاول الشيعة الامامية الحط من شأن مناهج المعرفة السنية ، حتى الاجماع اعتبروه مجرد شكل لا يستقيم بدون مشاركة الأئمة ·

تحدثنا عن عصمة الأئمة دون تحديدها وهو ما حان الوقت لفعله ، خاصة وأنها تمثل عمادا هاما من عمد تصور الامامية · الامام عند الشيعة الامامية لا بد وأن يكون معصوما عن الكبائر وعن الصغائر على السواء · والعصمة قوة تصون صاحبها من الوقوع فى المعصية والخطأ بحيث لا يغفل واجبا ، وبحيث لا يفعل محرما مع قدرته على الترك والفعل· والمعصوم يبلغ من التقوى حدا لا تتغلب فيه عليه الشهوات والاهواء · وهو يبلغ من العلم فى الشريعة وأحكامها حدا لا يخطىء معه أبدا · وواضح أن عصمة الامام بالمفهوم الشيعى ما هى الا عصمة الانبياء · والعصمة تتحقق للامام بفضل اللطف الذى يحصل من الله فى حقه ، وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية وان لم يكن هذا المنع على وجه القهر ، أى أن هذا اللطف لا يجبر المعصوم على فعل الطاعة وترك المعصية بل يجعله ممكنا من ذلك ·

ولعله يمكننا القول بعد هذا العرض لنظرية الامامة عند الشيعة الامامية انها نظرية فى وراثة السلطة الحاكمة التى لا تخرج عن آل على ابن أبى طالب ، أو هى شكل جديد من أشكال القول بالدم الملوكى الذى كان يقول به الفرس قبل الاسلام ، خلع عليه الشيعة مفهوم العصمة فبدا متفقا تماما مع منطق العقيدة من وجهة نظرهم · وكان المفهوم الفارسى للسلطة يمنح هذه لمن يتمتعون بامتياز فائق للطبيعة الانسانية · وأخذ الشيعة الامامية هذا المفهوم الا انهم أدخلوا عليه العديد من المبالغات بحث السلطة عندهم لا تستند الى الجهد الانسانى اذ أن هذا معرض ومدعاة للتنافس ، بل هى قوة فائقة تجعل من صاحبها انسانا [illegible] من الخطأ وواجب احترامه والخضوع له بل وتقديسه · وعلى [illegible] يوصى قبل وفاته بتعيين خليفة له فى الامامة ، وهو يحيط كبار

امته علما بوصيته تحاشيا للفرقة والانقسام • فكرة الوصية هذه تمثل تاثيرا فارسيا اخر فى الفكر السياسى الشيعى • فالاسلام اصلا يدعو الى الشورة ويحض على اتباعها عند اختيار الامام ، ولذا فلا مناص من ارجاع فكرة الوصية بما تتضمنه من اقرار لمبدأ النص والتعيين الى التقاليد الفارسية فى الحكم ، وان ارجعها البعض الى فكرة الوصاية اليهودية فكما كان يوشع هو وصى موسى يمكنا القول ان الشيعة الامامية اعتبرت على وصى محمد •

٣ ـ المهدى المنتظر :

لا يكتمل الحديث عن الامامة الا بالحديث عن المهدى المنتظر الذى تختتم به كل فرق الشيعة الامامية سلسلة ائمتها • ويستشهد الاماميه بعدة احاديث نبوية على صحة فكرة المهدى منها « المهدى منا اهل البيت » و « المهدى من ولد فاطمة » و « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى يملأ الأرض قسطا وعدلا ما ملئت ظلما وجورا » و « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى » • ويؤكد الامامية ـ تحديا لأهل السنة ـ انه لو صح زعم ان فكرة المهدى ما هى الا خرافة وأسطورة لكان السبب الأول والأخير لهذه الأسطورة هو رسول الله ! والمهدى المنتظر عند الأثنى عشرية هو الامام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى الذى سبق الاشارة اليه ، اما عند الاسماعيلية فهو الأمام السابع الذى اختفى حوال عام ٧٧٠م ورفض انصاره الاعتقاد فى موته • وتعتقد كل فرقة من فرق الامامية ان سلسلة أئمتها هى السلسلة الصحيحة وان المهدى المنتظر للانسانية كلها سيظهر كخاتمة لها ، ولذا يتاولون الآيات ويسوقون الأحاديث التى تؤكد صحة دعاواهم ، علاوة على اتفاقهم بصدد الأحاديث التى سبق ذكر بعضها والتى يدللون بها على صحة فكرة المهدى المنتظر على الاطلاق •

اما الرجعة : رجعة المهدى المنتظر ، فهى ببساطة ترقب عودة الامام الذى ركن الى الاحتجاب وسما وتعالى على كل القيود والاعتبارات الزمنية • وعودة انسان بعد عدة قرون هى بلا شك معجزة من المعجزات

ولذا فاذا عاد هذا الامام فى وقته الموعود كان هو المهدى المنتظر • وفكرة الرجعة مفهوم اساسى فى نظرية الامامة عند كل فرق الشيعة • وتختلف هذه الفرق فحسب فيما يتعلق بشخص الامام الخفى الذى سيعود لاختلافها أصلا فيما يتعلق بسلسلة الأئمة التى يمثل المهدى المنتظر خاتمتها • ومما يذكر أن فكرة الرجعة هذه انطبقت فى البداية على على ذاته اذ انكر عبد الله بن سبأ موت على وآمن برجوعه فى المستقبل فكان أول من وضع بذرة غلاة الشيعة • ويؤكد كثير من العلماء الذين يحاولون تحليل عقيدة المهدى المنتظر تحليلا فكريا أن الرجعة ليست من ابتكار الشيعة ، ولذا فبعض هؤلاء يرجعها الى التراث اليهودى المسيحى ، بينما يرجعها البعض الآخر الى تراث الديانات الشرقية القديمة وخاصة التراث الفارسى • ويؤكد نفر ثالث انها من قبيل الاساطير التى تقول بها الأمم المختلفة والتى تعبر عن الامها وعن قسوة وصلابة امالها فى آن واحد • وأصحاب الرأى الأول يذهبون الى أن النبى اليـاس فى التراث الدينى اليهودى ـ المسيحى قد رفع الى السماء على أن يعود الى الأرض فى نهاية الزمان ليقيم حكم العدل ، وهذه القصة هى التى أوحت فى رأيهم للامامية بفكرة الامام المستتر الذى رفع من الأرض وما يزال يعيش مختفيا والذى سيظهر يوما كمهدى يخلص العالم • بينما يذهب اصحاب الموقف الثانى الى ان ثمة افكارا شبيهة فى الديانات الشرقية القديمة كالهندوسية والمصرية القديمة والصينية ، والفارسية على وجه التخصيص • ان الكوارث المتتالية التى حلت بالعلويين دفعتهم الى القول لا بنبى مخلص ـ لأن محمدا فى الاسلام هو خاتمة الانبياء ـ وانما الى القول بامام يبدأ معه عهد جديد ، عهد تسوده العدالة والسعادة • وهذه فكرة أصيلة فى التراث الفارسى بالذات ، فالفرس يعتقدون أن ابن زرادشت سيعود فى نهاية الزمان لينتصر للحق وللعدل على الشر والجور • حور الامامية قليلا فى هذه الفكرة واستبدلوا بابن زرادشت اماما من ذرية على ، وهذه محاولة فكرية يقبلها المنطق لأن العقيدة الشيعية وخاصة الامامية الاثنى عشرية نمت وتطورت فى بيئة فارسية • اما أصحاب الموقف الثالث فيضربون العديد من الأمثلة للتدليل على صحة فكرتهم ، فالمغول مثلا يعتقدون أن جنكيز خان سيعود بعد ثمانية أو عشرة قرون من وفاته كما وعدهم ، وللألمان أسطورة تذهب الى أن بعضا من الناس

رأوا الامبراطور فردريك بارباروسا بعد أن غرق رأوه حيا فى كهف فى المانيا ، ولذا يدعون أنه ما يزال حياً هناك • وفكرة عودة مخلص يخلص الشعوب من آلامها ليبدأ معه عصر جديد تتحقق فيه آمال هذه الشعوب ، انما هى فى جوهرها تعبير عن صلاة هذه الشعوب والأمم ، وتعبير عن تمسكها بالأمل بالرغم من الظروف القاسية التى تحيط بها : الأمل فى الحل وفى الخلاص ؛ وان كانت تركن الى انتظار المعجزة بدلا من محاولتها صنعها • ومما هو جدير بالذكر أن فريقا من اهل السنة يشارك الشيعة الاعتقاد فى المهدى المنتظر بالرغم من العداء التقليدى بين الطرفين • ومن الغريب أن الزيدية وهى من فرق الشيعة تستنكر هذه الفكرة •

كان التشيع الاثنا عشرى هو البيئة الملائمة لنمو بذور الامانى المهدوية كما كان الغموض الذى أحاط بمحمد بن الحسن العسكرى من العوامل الفعالة التى أسهمت فى رسوخ هذه العقيدة لدى الشيعة رسوخا فاق رسوخها عند كل من يؤمن بها سواء فى الاسلام أم فى غيره من الديانات • والنظرة التحليلية لهذا المفهوم تبين انه مفهوم بالغ الدلالة على المنهج الشيعى فى العمل السرى المنظم داخل دولة رافضة ومحاربة لاصحابه • وقبل أن ننهى حديثنا بالنسبة لهذا المفهوم نشير الى أن سلسلة طويلة من مدعى المهدية ظهروا عبر التاريخ ، وكان أشهرهم كل من مؤسس الدولة الفاطمية ودولة الموحدين ، وأحدثهم ميرزا على محمد الذى أطلق على نفسه اسم الباب فى نهاية القرن التاسع عشر فى ايران ، ومحمد المهدى السنوسى بالمغرب العربى فى نفس الفترة ، ومهدى السودان محمد ابن عبد الله الذى توفى عام ١٩٣ ، واخيرا ذلك الشاب المدعى محمد بن عبد الله الذى ظهر فى السعودية ولم تستمر محاولته الا أياما قليلة مع بداية القرن الخامس عشر الهجرى •

٤ ـ التقية والبداء :

وترتب على حرص الشيعة على تكتم الجهاد وسريته أن كانت دعايتهم هى الأخرى سرية اكثر منها مناضلة مواجهة صريحة • فالتشيع يتميز بنوع من السرية فرضه عليه الحذر ، فكافة الشيعة فى بلد ما معرضون للخطر اذا ما افشى سرهم « المقدس » • وادى الشعور بخطر

حقيقة ومتربص بهم باستمرار الى تكوين نظرية أخلاقية لديهم تمثل افضل تمثيل عقليتهم ، وهى نظرية « التقية » ، ومحورها الاحتياط أو الحذر الشيعى الذى يوجب عليهم اخفاء عقيدتهم الحقيقية • فالشيعى اذا ما عاش فى بلد يسيطر عليه الخصوم يتحدث ويتصرف كما لو كان واحدا من هؤلاء الخصوم حتى يحمى نفسه ويحمى اقرانه من الخطر بل ربما من الموت • وكانت استحالة التعبير بصراحة عن حقيقة عقيدتهم هى فى نفس الوقت مدرسة تعلموا فيها الغضب الداخلى ضد الاعداء الأقوياء • وتركز غضبهم هنا فى احساس بكراهية لا يمكن السيطرة عليها وبتعصب كان من نتيجته نظريات دينية عجيبة للغاية • وربما يوضح قولنا هذا اعتبار لعن الخصوم جزءا هاما من عقيدتهم بل ان الامتناع عن ذلك لهو خطيئة حقيقية • فمثلا الشيعة الامامية الاثنا عشرية يصرون على لعنة أبى بكر وعمر بن الخطاب • ويعلل الشيعة قولهم بالتقية تحليلا منطقيا وعمليا فهم عندما يأتون بأقوال وبأفعال تخالف فى ظاهرها حقيقتها فانما يفعلون ذلك لدفع الخطر عن النفس والمال ولحفظ الكرامة اذا كانوا يعيشون جنبا الى جنب مع من يخالفونهم دينا ومن يستطيعون الحاق الضرر بهم • ويؤكد الشيعة الامامية أن التقية فى الحقيقة هى أمر لا ينفردون به وحدهم انما هو ما تحتمه العقول وما طبعت عليه غرائز البشر • فمن هو العاقل الذى يرمى بنفسه فى الخطر عامدا متعمدا لمجرد الاعلان عن الرأى ؟ لقد أجازت الشريعة الاسلامية للمسلم — فيما يؤكد الامامية — اذا ما خشى على نفسه أو على غرضه ، اخفاء الحق والعمل به سرا فحسب ريثما ينتصر الحق على الباطل • ونظرا للظروف السياسية وللتنكيل بالشيعة من قبل الدولة الأموية ثم الدولة العباسية من بعدها ، اضطرت الشيعة الى كتمان أمرها تارة ، والى اعلانه تاره أخرى حسب ما تقتضيه مناصرة الحق ومكافحة الضلال • فأخذ بالتقية الكثير من رجال الشيعة بينما سحقها بعضهم تحت اقدامهم وقدموا انفسهم قربانا للحق ، لأنهم لو كانوا سكتوا أو عملوا بالتقية لضاعت البقية من الحق ، ومن هؤلاء الامام على والامام الحسين واصحابه الذين وجدوا أن العمل بالتقية لا يناسب الموقف بل هو يضر بقضيتهم •

ان التقية ما هى الا صورة من صور المبدأ الذى تتمسك به دائما

ـ فى كل زمان ومكان ـ اية اقليـة مضطهدة عندما تطالب بغير ما تقول به الأغلبية القوية صاحبة السلطة • ولقـد ساعدت التقيـة الشيعة على تبرير شرعية العمل السرى بل وعلى نجاحه فى كثير من الأحيان • وعادة كان الأمام يستتر عن الاعداء ليبعد الخطر عنه ، فهـو الامام المستور ، بينما يعمل دعاته الأوفياء سرا على اخذ البيعة له من الاتباع والأنصار ، حتى اذا واتت الظروف قامت الثورة ، فاذا نجحت ظهر بطلها وهو عندئذ المهدى المنتظر •

والبـداء كذلك من عقـائد الشـيعة الامامية وما هى فى جـوهرها الا جواز النسخ ووقوعه ، أى هى أن الله جـل شانه امرا يكتب فى الواح المحو والاثبات ، وربما اطلع عليه بعض الملائكة المقربين او احد الأنبياء ، فيخبر هذا امته ثم يقع بعد ذلك خلافه لان الله ـ جـل شانه ـ راى محـوه ليوجد غيره • والله فى هذه الحالة يعرف مسـبقا بالطبع بالتغيير وان لم يطلع احدا على ذلك لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا • والعلم بالتغييرلا يختص به الا الله وحده وهو المعبر عنـه فى القـرآن فيما يذهب الامامية « بأم الكتاب » • اما اطلاع نبى مرسل على أمر ثم تغييره فهـو ما يشير اليـه القرآن فيما يذهبون فى الآية « يمحو الله ما يشاء ويثبت عنده أم الكتاب » • والبـداء من اسرار آل محمـد وغامض علومهم ، ولهـا حـكمة تعجز عن ادراكها العقول وتقف عندها الالباب • وللتدليل على سلامة عقيدتهم هذه يذهب الامامية الى ان الصلاة كانت فى بدء الاسلام لجهة بيت المقدس ثم أصبحت القبلة هى البيت الحرام • والمشكلة الحقيقية بالنسبة لهذه العقيدة فى رأينا هى انها قد تعنى تغييرا يحدث فى علم الله ، بينما علم الله منزه عن كل تغيير ، فهو علم قديم قدم صاحبه تمـاما • ولقـد تنبه الامامية لهـذه المشكلة ولذا فهم يحرصون على تأكيد جواز النسخ او البـداء فى الأمور الشرعية فحسب وعدم جوازه فى الأمـور الـكونية أو الطبيعية • بمعنى آخر لا يجوز القول ـ فيما يذهبـون ـ بأن الله قد يقضى بايجـاد شىء فى الخارج ثم يعدل عنه ويغير من ارادته • ويدعى الاماميـة انهم يرفضون مثل هذا البداء ، أى مثل هذا النسخ ، شانهم فى هذا شان أهـل السنة ، لأن البداء فى الأمور الكونية أو الطبيعية فهو كفر بالغ • وهل كان بامكانهم قبول فكرة النقض فى العلم الالهى ؟! ومن قبيل البداء التى يجيزونها زيادة الله لأرزاق العباد ولأعمارهم او انقاصه لها •

٥ ـ مقارنة بين الشيعة الامامية والسنة :

بعد ان عرضنا لأهم عقائد الشيعة الامامية يجدر بنا عقد مقارنة بينها وبين عقائد السنة • من المعروف أن الشيعة الامامية وخاصة الأثنى عشرية منهم قد أخذوا بكثير من نظريات المعتزلة التى استخدموها افضل استخدام • والاعتزال ما يزال حيا فى الأب الشيعى الى يومنا هذا خاصة فيما يتعلق بمسالة وحدة الله وبالعدل • وينكر علماء الامامية ذلك ، فالتشيع يتنافى فيما يؤكدون والاعتزال ودليلهم على هذا أن الشيعة تقول بالنص بينما لا تقول به المعتزلة •

ومن الأخطاء الشائعة عن الامامية والتى يحرصون هم على دحضها كونهم لا يعترفون بالسنة باعتبارها احد أساسى العقيدة الاسلامية ، وكونهم يكتفون بالقرآن اساسا لعقيدتهم • ويؤكد الامامية اتفاقهم مع اهل السنة فى الأخذ بكل من القرآن والسنة ، بل يؤكدون اعتبار انفسهم الممثلين الحقيقيين للسنة النبوية التى حفظها آل البيت • والخلاف الوحيد بين الفريقين فى هذا الصدد فيما يذهبون يتمثل فى اعتماد اهل السنة على سلطة الصحابة التى يرفضها الشيعة • ولا ندرى كيف يعتبر الامامية انفسهم الممثلين الحقيقيين للسنة النبوية لمجرد قرابة على وذريته للرسول محمد ، فالاسلام دين الناس كافة لا فرق فيه بين عربى وأعجمى الا بالتقوى والسنة لا بد ان تكون بالنسبة لكافة المسلمين واحدة من ركنى الهدى • ورفض الاقتداء بالصحابة وجعل على هو القدوة الوحيد لهو تقييم خاطىء لوضع الصحابة كما اراده الرسول عليه الصلاة والسلام • ويبرز الامامية كونهم يتفقون مع اهل السنة بصدد اغلبية الاحاديث النبوية وان اختلفوا معهم احيانا فيما يتعلق بسلسلة الاسناد • وهذا صحيح ولكن الصحيح ايضا أن الامامية حرفوا بعض الاحاديث ، وفسروا البعض الأخر بما يخدم قضيتهم • ويؤكد الامامية اتفاقهم مع اهل السنة فى العقائد الاساسية ، فالفريقان متفقان فى أن الدين هو الاسلام ، وان الطريق اليه هو كتاب الله وسنة نبيه ، وأن الكتاب هو القرآن وان ثمة حسابا وبعثا ، وان اختلفا فى شىء ففى بعض أسباب النزول أو فى فهم بعض الآيات • ويتفق الفريقان على أن معرفة السنة واجبة على كل مسلم وان اختلفا فيما يتعلق بمعرفة الله • فبينما يذهب الأشاعرة الى أن هذه المعرفة واجبة

بالشرع لا بالعقل ، يذهب الامامية الى عكس ذلك ، اى الى أنها واجبة بالعقل لا بالشرع • ويختلف الفريقان فيما يتعلق بصفات الله فهى عند السنة غير ذاته ، اما عند الامامية فهى عين ذاته • وعند السنة أن كلام الله قديم وغير مخلوق بينما هو عند الامامية حادث ومخلوق • والانسان عند السنة مسير لا مخير بينما هو عكس ذلك عند الامامية أى هو مخير لا مسير •

والمسلمون جميعا متفقون فى ان أدلة الاحكام الشرعية منحصرة فى الكتاب والسنة ، وعلى انها تقوم على العقل والاجماع ، ولا فرق فى هذا بين السنة والامامية ولكن الامامية يختلفون عن غيرهم من المسلمين فى بعض الأمور منها انهم لا يأخذون بالقياس وقد تواتر عن ائمتهم « أن الشريعة اذا قيست محقت » فالقياس فى نظرهم لا يفيد اليقين لأنه متعلق بالظن فضلا عن عدم نص الكتاب والسنة على العمل به ، ولذا حظروا استعماله فى المسائل الفقهية ، وجعلوا الوحى فوق كل استدلال عقلى • والعلم الحق عندهم هو علم الأنبياء والأئمة فهو لا يعتريه الخطأ ولا السهو ولا النسيان ، فهو علم لدنى صادر عن الوحى والالهام • ورد على ما قد يوجه اليهم من اعتراض يتلخص فى كيفية كون علم الأئمة كذلك بالرغم من انقطاع وحى السماء بانقطاع الوحى الذى هبط على محمد خاتم الأنبياء ، يذهب الامامية الى أن علم الأئمة يختلف عن الوحى فى أنه لا تتنزل به الملائكة اليهم ، انما هو علم ورثوه عن علم الرسول محمد عليه السلام ، وعن علوم سائر الانبياء الأخرين جميعهم • وبذا يكون لديهم علم بجميع الكتب التى نزلت من عند الله وهم يعرفونها على اختلاف لغاتها •

ومن الأمور التى يختلف فيها كذلك الامامية عن بقية فرق الاسلام أنهم لا يعترفون الا بالاحاديث النبوية التى نقلت عن آل البيت عن جدهم سيدنا محمد عليه السلام • بل أن الاثنى عشرية لا يعترفون الا بما رواه الامام الصادق عن أبيه الامام الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن رسول الله • أما ما يرويه أمثال أبى هريرة ومروان بن الحكم وهما أهم نقلة الحديث عند السنة فليس له عندهم أى اعتبار •

ويختلف الامامية عن معظم أهل السنة فى قولهم بان باب الاجتهاد لا يزال مفتوحا مدللين على صحة هذا الموقف بأن باب الاجتهاد كان مفتوحا فى زمن النبوة بين أصحاب النبى وفى الأزمنة التالية ، بينما يكتفى أهل السنة بمحاولات الاجتهاد التى قام بها الائمة الاربعة منذ القرن الرابع الهجرى وان دعى بعض علمائهم فى العصر الحديث الى فتحه من حديث بدعوة تجديد علم الكلام ، وعلى رأس هؤلاء الشيخ محمد عبد والشيخ المراغى فى مصر · ومسألة الاجتهاد هذه التى يدعيها الامامية تحتاج الى وقفة فاحصة · ففى رأى أن الشيعة ادعوا فتح باب الاجتهاد حتى يتمكنوا من تأويل ما يريدون تأويله بما يخدم عقيدتهم وأهدافهم ، ولكنهم فى حقيقة الأمر رفضوه تماما فيما يتعلق ببعض الأمور · فهل يجرؤ شيعى اليوم فى نهاية القرن العشرين على الاجتهاد فى مسألة الامامية ؟. هل يجرؤ شيعى اليوم على اعادة النظر فى تقدير كل من أبى بكر الصديق وعمر الفاروق ، وفى تقدير دورهما فى الدعوة الاسلامية ذلك الدور الذى لايمكن لأى منصف انكاره ؟ ثم اليس رفضهم للقياس رفضا لأهم أدوات الاجتهاد ؟ ! ألم يرفضوا القياس فى حقيقة الأمر الا حفاظا على بعض المفاهيم التى لا تصمد أمام النظر العقلى الموضوعى ؟ ·

ومن أهم ما يختلف فيه الامامية مع أهل السنة قولهم بعصمة الانبياء والأئمة ، بينما يقبل أهل السنة جواز الذنوب على الأنبياء الكبائر منها والصغائر ، وذلك قبل أن يصبحوا أنبياء ، أما بعد النبوة فلا يجوز عليهم الكفر ولا تعمد الكذب ، وان جازت عليهم الصغائر عمدا وسهوا ، والكفر سهوا لا عمدا ، والسنة يدللون على صحة رأيهم هذا بما جاء فى القرآن من أن الرسول ما هو الا بشر · أما الامامية فيقولون بالعصمة سواء قبل أو بعد النبوة ، بل يقولون بعصمة الأئمة أيضا ·

أما فيما يتعلق بالجانب الشرعى فان الاختلاف بين السنة والشيعه يكاد لا يفوق حجم الاختلاف بين مذاهب السنة الأربعة · ويمكننا القول أن أقرب المذاهب السنية الى الشيعة الامامية هو المذهب الشافعى · وربما كان الاختلاف الرئيسى بين السنة ولامامية فى هذا الموضع هو زواج

المتعة الذى حرمته السنة • وثمة من يؤكد ان الخليفة عمر بن الخطاب هو الذى حرمه بينما ينسب البعض الآخر هـذا التحريم الى النبى نفسه ولقد أباحت الشيعة الإمامية هذا الزواج اعتمادا على ما جاء فى سورة النسـاء فى لآية ٢٤ « والمحصنات من النساء بأموالكم محصنين غيـر مسافحين فما إستمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما » •وهم يعتبرون مثل هذا الزواج مقبولا خاصة وهو لايعترفون بسلطة عمـر بن الخطاب الشرعيـة ، ويتشككون فى صحة الأحاديث النبوية التى تناولت هـذا الموضوع •

ويتميز الشيعة الامامية ببعض التقاليد الدينية مثـل تخليد العلويين وحزنهم الشديد على مقتل آل البيت ، والاحتفال بعشوراء فى العاشر من محرم وهو يوم حزن وندم وتكفير عن الذنوب فى ذكرى كارثة كربلاء حيث قتل الحسين ومعه الكثيرون من آل البيت ، والحج الى قبور آل البيت فى العراق وكانت فيما مضى جـزءا من الدولة الفارسية العظمى • والشيعة يقومون بهذا الحج باخلاص شديد ، والفقراء منهم يذهبون اليه سيرا على الأقدام • وأهم مقابر آل البيت مقـابر النجف وكربلاء ، ففى النجف دفن على ابن ابى طالب بعد أن نقل اليها على اثر مقتله بالقـرب من مسجد الكوفة ، وفى كربلاء توجـد كـذلك مشاهد الحسين ومن كان معه من آل البيت • اليس التمسك بزيارة القبور والبكاء على الأطلال تعبيرا عن التمسك بالماضى والتشبث به ؟! اليست تلك التقاليد محاولة لاجـدوى منها لتخليد لحظة زمنة مضت ولا يمكن احياؤها ؟!

ثانيـا : الشيعة الاثنا عشرية :

ساق الشيعة الاثنا عشرية الامامية بعد على الى ابنه الحسن ، ثم الى الحسين ، ثم الى على زين العابدين ، ثم الى محمد الباقر ، ثم الى جعفر الصادق ومن بعده ساقوها الى ابنه موسى الكاظم ، وقطعوا بموت موسى فجعلوا الامامية من بعده لعلى الرضا ، ثم لمحمد الجواد ، ثم لعلى الهادى فللحسين العسكرى ثم لابنه محمد وهو المهدى المنتظر وأمه حفيـدة قيصر ملك الروم وأمها من نسل الحواريين • وقد ولد محمد بن الحسن العسكرى

فى مدينة سامراء على نهر الفرات بالعراق فى عام ٩٤٠م ، واختفى وهو طفل وما يزال الاثنا عشرية ينتظرون ظهوره آخر الزمان هناك ، فهو المهدى الذى سيظهر العالم والذى سيقضى على الظلم ويقيم حكم الاسلام والعدالة • وقد تناقضت هذه الفرقة فيما مضى مع نفسها فانقسمت حينذاك الى أحزاب فيما يتعلق بسلسلة الأئمة • ويذهب بعض المؤرخين ومنهم الشهرستانى الى أن عدد هذه الأحزاب بلغ احد عشر حزبا فمنها من ادعى بأن الحسن العسكرى لم يمت فهو غائب فحسب ، ومنهما من ادعى ان الحسن مات بلا خلف ولكنه سيبعث من جديد ، ومنهما ما ذهب الى أن الحسن عين فى وصية له أخاه جعفر ، ومنهما ما يدعى ان جعفر مات ولم يترك ورثة ، وذهب حزب الى أن الحسن عند وفاته كان له ابن يبلغ من العمر سنتين والى أن سلسلة الأئمة ينبغى أن تنحصر فى نسل هذا الابن •

وفرقة الاثنا عشرية من اكثر فرق الشيعة اعتدالا ولذا فهى تحرص على تأكيد أن محمدا هو خاتم الأنبياء وسيد الرسل ، وعلى كونه معصوم من من الخطأ ومن الخطيئة ، وعلى أن القرآن هو كتاب الله للاعجاز والتحدى وتعليم الاحكام وتمييز الحلال من الحرام ، وعلى أن كل من ادعى النبوة بعد محمد أو نزول وحى أو كتاب فهو كافر يجب قتله • وتنسب هذه الفرقة مذهبيا لجعفر الصادق الذى تبلور مذهبها على يديه واتخذ بفضله صورة النهائية الواضحة حتى يطلق عليها احيانا اسم الجعفرية نسبه اليه • فقد استطاع الامام الصادق أن يقرب مسافة الخلافة بين السنة والشيعة بمحاربته للغلاة وبابطال الكثير من أقوال المعتزلة • ويعد أوائل متكلمى الشيعه جميعهم من تلاميذه ونذكر منهم على سبيل المثال هشام بن الحكم وزراه ابن أعين ومحمد بن النعمان ، ولهؤلاء الفضل فى وضع أسس علم النظريات السياسية فى الاسلام باعتبارهم أول من تحدث فى الامامة وتبعهم بعد ذلك كثيرون أشهرهم الطوسى فى كتابه « قواعد العقائد » والحلى الذى شرح كتاب الطوسى المذكور والقمى الذى يعد المؤسس الحقيقى لفقه الامامية الاثنى عشرية فى ايران ، وأهم كتب التفسير الاثنى عشرى هو كتاب مجمع البيان للطبرسى وكتاب التبيان للشيخ الطوسى وهما مطبوعان وكتاب خلاصة التفسير لسعيد بن هبة الله الراوندى • ولعل أهم مرجع

ترجع اليه الشيعة الاثنى عشرية هو كتاب مكون من اجابات الامام موسى الكاظم عن اسئلة اخيه على بن جعفر الصادق الذى كان يعيش فى المدينة ، والذى جمعها فى كتاب عن الحلال والحرام ، وانتشر هذا الكتاب بروايتين احداهما مرتبه على ابواب والأخرى غير مرتبه • وهناك كتاب اخر فى الفقه ينسب للامام الثامن على الرضا ويعد من أهم عمد المذهب الاثنى عشرى •

والشيعة الاثنا عشرية هم اكثر فرق الشيعة عددا وانتشارا كما سبق أن قلنا ، وهم يمثلون اكبر طائفة من لمسلمين بعد السنة اذ يبلغ عددهم ما يقرب من سبعين مليونا • وهم منتشرون في العراق وايران والهند وروسيا وأفغانستان وتركستان ولبنان ، وقليل منهم فى سوريا واليمن والحجاز ، بل ويوجد منهم فى التبت بالصين ، وفى الصومال والبانيا وتركيا والبحرين والكويت • والمذهب الاثنا عشرى هو العقيدة الرسمية لدولة ايران وذلك منذ قيام الدولة الصفوية •

وبعد هذا العرض التاريخى لهذه الفرقة نرى التعرض لأهم مفاهيم عقيدتها مركزين على ما تتميز به هذه المفاهيم عن مثيلاتها من المفاهيم التى تاخذ بها الامامية بشكل عام •

مفهوم الامام والمهدى المنتظر عندها :

أهم ما يسوقه الاثنا عشرية من أحاديث تؤكد صحة دعواهم هو الحديث التالى الذى لا ينكره أهل السنة اذ ذكره البخارى ومسلم الترمذى : « لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » • واذا كان علماء السنة يأخذون بهذا الحديث مثلهم مثل الشيعة الاثنى عشرية الا انهم يختلفون معهم فى تحديد اشخاص الائمة • ويؤكد الاثنا عشرية أن امامهم الحجة المهدى المنتظر هو المقصود بهذا الحديث اعتمادا على الآية « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » التى يتأولونها بما يفيد ضرورة انتقال الامامة من الوالد الى الابن الا ما كان من انتقال الامامة من الحسن الى الحسين لأن الحسن ليس أولى بالامامة من الحسين ، فهما سبطا الرسول • ومن ادلتهم النقلية ايضا فى هذا المقام حديث الرسول : « الائمة بعدى اثنى عشر أولهم على وآخرهم القائم خلفائى وأوصيائى وأوليائى وحجج الله على أمتى بعدى ، المقر بهم

مؤمن والمنكر لهم كافر » • وكذلك الحديث النبوى المنقول عن ابن عباس « انا وعلى والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون » • وهناك العديد من الاحاديث التى يسوقها الاثنا عشرية فى هذا المقام والتى لا يسعنا ذكرها جميعا وكلها تدور حول نفس الفكرة • ولا يفوتنا أن نشير هنا الى أن الاثنى عشرية لا تدلل على صحة رأيها هنا الا بادلة نقلية هى الاحاديث وكان جدير بها أن تستعين بالادلة العقلية وهى التى تدعى حمل لواء الاجتهاد ! •

وللمهدى المنتظر غيبتان عند الاثنى عشرية ، غيبة صغرى وأخرى كبرى • اما الغيبة الصغرى فهى غيبته مع وجود الذين يقومون بدور الوكلاء له واهم أربعة ويقومون بدور الوساطة بينه وبين شيعته فينقلون اليهم معالم الذين وأحكام الشريعة • وبموت النائب الرابع بدأت غيبته الكبرى • ولا يذكر متكلمو الشيعة الصورة التى غاب عليها • هل حملته الروح القدس كما كانت تحمله من قبل عندما كان يختفى عن الانظار فى حياة ابيه • هل سيظهر فى سرداب سامراء الذى يقال انه دخله ولم يخرج منه أم فى داره الذى يذهب البعض الى انه لم يخرج منها لا هو ولا أمه • ومهما تكن الحقيقة هنا فامل الشيعة الأثنى عشرية يتركز فى ظهور المهدى المنتظر فى سرداب سامراء حيث يجتمعون فى جماهير غفيرة ويرتفع دعاؤه طالبين الشفاعة من الامام الغائب لمحو الذنوب وستر العيوب • ولا تعنى الغيبة الكبرى عند الاثنى عشرية انقطاع سلطته عن الناس انما تعنى فحسب أن الله حجبه عن العيون وان تظل حيا يستطيع الخاصة رؤيته من وقت لآخر • ويحاول بعض الباحثين تفسير ظهور فكرة المهدى المنتظر عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية تفسيرا عقلانيا فيذهبون الى أن اختفاء الامام الثانى عشر ــ وهو ما يزال طفلا وهو معقد الآمال العظيمة اذ كان عليه ان يستعيد السلطة لآل على بن أبى طالب وان يستكمل الدين ــ ترك الشيعة فى حالة احباط ويأس شديدين وفى حالة ذهنية عجيبة • لم يرضخوا للواقع ولم يصدقوا أن مطامعهم انهارت وأن مذهبهم قد تقوض فتخيلوا أن المهدى لم يمت وانما اختفى وحسب وانه سيعود يوما لا يعلمه الا الله ومعه قوة كبيرة ومصير عظيم ، وهذا هو الظهور • وتطلق على المهدى المنتظر القابا اخرى من قبيل صاحب الزمان أو صاحب العصر

والقائم المنتظر والامام الحجة • وفكرة المهدى المنتظر هذه نجد لها مثيلا فى التراث اليهودى المسيحى فهى تطوير لفكرة المسيح التى يقول بهـا • وقد تشكك علماء السنة فى هذا المهدى المنتظر بالصورة التى يتحدث بها عنه علماء الاثنى عشرية • فالمهدى عند السنة لابد وان يكون اسمه مثـل اسم الرسول أى محمد بن عبد الله بينما اسم المهدى المنتظر الاثنى عشرى هو محمد بن الحسن العسكرى ، كما ان الامام يشترط فيه ان يكون بالغـا بينما هذا الامام اختفى وله من العمر ثمان سنوات على اكثر تقـدير • بل يذهب بعض علماء السنة الى حد التشـكيك فى وجـود ولد عاش للامام الحادى عشر ! وثمـة اعتراضات رئيسية توجـه للاماميـة الاثنى عشرية ويردون عليها اعتمـادا على ادلة نقلية مما لا يقبله التفكير العـقلانى • ومن هـذه الاعتراضات أن الاحاديث النبوية تشير الى خـروج المهدى فى آخر الزمان ، وهذا أمر لا يمكن انكاره ، ولكنها لا تتعرض من قـريب أو من بعيد الى وقت ولادته فمن الجائز انه سيولد فى القـرن الذى سيخرج فيه مما يعنى انه لم يولد بعد بالفعل ، بل ومما يتعارض مع هـذه الفكرة تماما • ويرد الاثنا عشرية على هذا الاعتراض بقولهم أن بقاء المهدى حيا مثل الخوارق التى حدثت لابراهيموداوود وسليمان وموسى وعيسىوغيرهم من الانبياء ولا تتناقى مع حكم العقل لانها حدثت بالفعل • أما الاعتراض الآخر فهو استبعاد بقاء الامام طوال هذه المدة التى تتجاوز الالف سنة • ويرد الأمامية الاثنا عشرية بأن نوح عاش بين قومه الف سنة الا خمسين عاما وأن النبى خضر ما يزال حيـا فيما يؤكد كثير من علمـاء الدين • ويتساءل الامامية لـماذا يقبل علماء السنة استمرار حياة أربعة من الأنبياء اثنان منهما فى السماء وهمـا ادريس وعيسى واثنـان منهما على الأرض هما اليـاس والخضر ولا يتقبلون فكرة بقـاء الامـام المهدى المنتظر حيـا طوال هذه المدة • ومن يقدر على حفظ الحياة يوما واحدا فى رأيهم يقدر على حفظها آلاف السنين • وصحيح أن امتداد الحياة لمئـات السنين لهو خرق للعـادة لنواميس الطبيعة ولـكن الله قادر على كل شىء وما هـذا الا معجزة من معجزاته • أما الاعتراض الثالث وهو اعتراض من شأنه اظهار التناقض الموجود داخل عقيدة الامامة الشيعية فيتمثل فى التساؤل عن الحكمة والمصلحة من بقاء المهدى المنتظر حيا مع غيبته ، أفليس وجوده مع عدم الانتفاع به الا كعدمه ؟ ويبدو أن الامامية الاثنى عشرية عجـزوا

تماما ن الرد لى هذا الاعتــراض ردا عقـلانيا او حتى ردا يتفق ومنطق عقيدتهم ولذا يقرون بأن هذا الأمر حكمة ربانية ومصلحة الاهية وسر من أسرار الكون والتشريع مثلة مثل الأحكام التي مازلنا نجهل الى يومنـا هذا الحكمة من وجودها كتقبيل الحجر الأسود مع انه لا يضر ولا ينفع ، وكفارض عدد معين من الركعات لكل وقت من أوقات الصلاة ٠

ثالثــا : الشيعة الاسماعيلية :

ـ نظرة تحليلية لنشاتها ولتاريخها :

سبق ان رأينا كيف انقسم ٠ الشيعة الامامية الى فـرقتين على اثر وفاة اسماعيل بن جعفر الصادق فذهبت فرقة وهى الاثنـا عشرية الى ان الامامة من بعـــد جعفر الصادق هى من حق موسى الكاظم بينما ذهبت الفرقة الأخـرى وهى الاسماعيلية الى أن الامـامة من حق ابن اسماعيل فنسبوا الى اسماعيل هذا ٠ وقــد ذهب الاسماعيلية الى انه بالرغم من وفاة اسماعيل فى حياة ابيه فان الامامية لابد وان تكون لابنه محمد لأن جعفر الصادق كان قد نص بالفعل على ابنه اسماعيل والبـداء محال فى هذا الأمر ، ولأن الامامة لا تكون الا فى الأعقاب وذلك تأويلا للآية القرانية الكريمة : « وجعلها كلمة باقية فى عقبة » التى يتأولونها بأن الكلمة هنـا تعنى الامامة التى لابد وأن تكون فى الأعقاب ٠ والاستثناء الوحيد عنـد الاسماعيلية لهذه القاعدة كان بالنسبة لسبطى الرسول الحسن والحسين ٠ ومن ناحية أخرى وفقا للتقليد الشيعى القديم الذى يوجب تسلسل الامامة فى اكبر اهل البيت سنا كان اسماعيل أحق من عمه موسى الكاظم لأنه كان اكبر منــه سنا وبالتـالى فلابنه الحـق فى الامامة من بعـده ٠ ويحـكى الاسماعيلية أن جعفر ادعى قصة موت ابنه حماية له من بطش الخليفـ العباسى أبى جعفر المنصور ، الذى كان يطارد الشيعة ، وأن اسماعيل قـد شوهد بالفعل بعد ذلك فى البصرة وفى غيرها من مدن بلاد فارس ، وبناءا على ذلك فالامامة لم تسقط عنه بموته قبل وفاة ابيه طالما هو قــد مات فى حقيقة الامر بعد أبيه ٠ وتبدو هذه القصة خيالية تمـاما ٠ الا ان لمؤرخى الفرقة الاثنى عشرية بل ولبعض مؤرخى اهـل السنة والجماعة موقفـا مختلفا تماما من اسماعيل اذ يؤكدون انه لم يكن بالرجل الصالح للامامة

بعد أن أدمن شرب الخمر وانغمس فى اللهو وصادق رفقاء السوء ، وهو ما جعل جعفر لايرضى عنه ولاينص عليه ٠

وقبل أن نمضى فى التاريخ للاسماعيلية نتوقف عند تسمية هذه الفرقة بالسبعية فيما مضى ٠ والاسماعيلية أنفسهم حاليا باستثناء علمائهم - لا يعرفون الاسباب الاصلية لهذه التسمية التى اطلقها عليهم المؤرخون العرب ٠ وهذا اللقب غامض جدا فى حقيقة امره خاصة وان اسماعيل ابن جعفر هو الامام السابع فهل معنى هذا أنهم يتوقفون عنده ولا يقولون بائمة من بعده ؟ وإذا كان هذا صحيحا فكيف نعلل قولهم بمهدى منتظر سيكون ترتيبه الثامن ؟ وكيف نعلل أخذهم بعدد كبير من الأئمة فضلا عن المستورين منهم ؟ والاسماعيلية على اختلاف فرقها تؤكد ضرورة وجود امام هو فى ظاهره مجرد انسان محدود العمر ولكن من شأنه حفظ نظام العالم ، وهذا يتناقض تماما مع قولهم بسبعة ائمة فحسب ٠ وثمة تعليل لأصل هذه التسمية نميل الى الاخذ به لكونه يقوم على اساس مذهبى وهو أن السبعية سموا كذلك لأن النطقاء بالشرائع أى الرسل عندهم سبعة وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد المهدى وهو آخر النطقاء وسابعهم ، وبين كل اثنين من هؤلاء النطقاء سبعة ائمة يتممون شريعته كما انه لابد فى كل عصر من سبعة بهم يهتدى ٠ ولقد تمسكوا بالرقم سبعه وجعلوا كل احكامهم تدور على اساسه ٠ ويرجع تمسكهم بهذا الرقم الى أن أيام الأسبوع سبعة وكذلك السماوات سبع ٠ كما كان يطلق على الاسماعيلية اسم الباطنية لقولهم بالباطن المستور ، واحيانا اسم الملحدة لما جاء فى مقالاتهم من الضاد فى نظر السنة ، ومن اسمائهم ايضا البابكية لأن طائفة منهم اتبعت بابك الخرمى باذربيجان ، والمحمرة للبسهم الحمرة أيام بابك أو لاطلاقهم على بقية المسلمين اسم الحمير ! ، ومن اسمائهم ايضا التعليمية وانتشر هذا الاسم بالذات فى خرسان ٠

ونعود لمحمود بن اسماعيل بن جعفر الصادق وهو من يطلق عليه إسم محمد المكتوم فنقول انه كان فى نظر الاسماعيلية أول الائمة المستورين ولقد اضطر ان يترك المدينة المنورة وهى مسقط رأسه وإلى ان يهاجر الى خوزستان جنوبى غربى ايران ثم تركها الى بلاد الديلم (جنوب بحر

القزوين) ثم انقطعت اخباره تماما وبدأت بذلك فترة الستر التى لا نعرف عنها الا معلومات مضطربة للغاية فحتى بالنسبة لعدد ائمة هذه الفترة اختلف العلماء فمنهم من يذهب الى انهم ثلاثة وبعضهم يذهب الى انهم خمسة والبعض الآخر يذهب الى انهم سبعة . وكل ما يمكننا تأكيده هو أن فترة الستر هذه استمرت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى عندما ظهرت حركة القرامطة الاسماعيلية فى البحرين وفى بلاد الشام . ويمكن تعليل فترة الستر هذه التى سبقت فترة الظهور بخوف الاسماعيلية من بطش اعدائهم العباسيين وقد دخل القرامطة مكة اثناء موسم الحج وانتزعوا الحجر الأسود وحملوه معهم الى عاصمتهم هجر ثم ما لبثوا ان تملصوا من طاعة الائمة الاسماعيلية فقتلوا الكثير من افراد اسرهم . ويمكن اعتبار حركة القرامطة هذه أول مشاركة علنية للاسماعيلية فى الحياة السياسية .

ثم تكونت الدولة الاسماعيلية الكبرى أى الدولة الفاطمية على يد الامام الاسماعيلى عبيد الله المهدى عام ٢٩٧ ونظرا للمبالغة فى التستر من جانب الأئمة ـ اذا كان الأمام لا يكون ظاهراً الا اذا كانت هناك قوة تسانده أما اذا لم يتحقق ذلك ركن الى التستر وسمى بالامام المستور ويكتفى فى هذه الحالة بكون دعاته ظاهرين من أجل اقامة الحجة على الخلق ـ شك كثير من المؤرخين فضلا عن شك معاصرى هذه الدولة أنفسهم فى صحة نسب أئمة الدولة الفاطمية حتى ذهب أعداؤها الى أن الامام الاسماعيلى عبيد الله المهدى هو ابن رجل يهودى كان حدادا بسلمية تزوجت أمه بعد وفاة أبيه من أحد الاشراف العلويين فادعى لما كبر لنفسه نسبا علويا . ولأهمية هذه المسألة التاريخية نتوقف عندها قليلا .

هذا الرجل اليهودى الذى ينسب اليه اعداء الفاطميين الاسماعيليين الدولة الفاطمية كلها كان يدعى ميمون القداح . ويقال ان ميمون هذا من أبناء ربصان النوبى وانه لقب بالقداح لأنه كان كحالا يقدح العين ، وانه كان أول من اتخذه الأئمة المستورين حجة ونائبا لهم اذ جعله جعفر الصادق حجابا وسترا على حفيده محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين . بل قيل عنه انه كان راوية للامام محمد الباقر ولابنه جعفر الصادق . وتذهب

للاسماعيلية فى محاولة منها لرفع شأنه الى أن نسبة يرجع الى سليمان الفارسى · ويكتنف حياته الغموض فنحن لانعرف ابن ولـد ولا كيف كانت نشأته الأولى وان ذهبت بعض المصادر الى انه ولد فى مـكة ثم انتقل الى الأهواز · وبوجه عام يمكننا القول بأن شخصية ميمون بن القداح وعائلته وعلاقتهما بالاسماعيلية ما زالت محل نقاش · هل كان ميمون القداح هذا يهوديا بالفعل تظاهر بالاسلام حتى تتاح له الفرصة لهدمه وليبث فيه بحيلة شيطانية بذور الالحاد والزندقة ؟ يؤكد بعض المستشرقين ، وعلى رأسهم العـالم الروسى الشهير ايفـانوف المتخصص فى تاريخ الاسماعيلية ، أن لا ميمون ولا ابنه عبد الله كانا يهوديين ولا حاولا بث الالحاد والزندقة فى الاسلام ، ولا كانا أساس الدعـوة الاسماعيلية الفـاطمية بأى شـكل من الأشكال · والحقيقة التاريخية الوحيدة التى يمكن اثباتها فى هذا المقام هى أن عبـد الله كان رفيقا للامام جعفر الصادق · ويبرز ايفانوف تدليلا على صحة رأيه تلك الرواية التى بمقتضاها أكـد المعز لدين الله الفاطمى لأحد دعاته فى السند أن ميمون القـــداح ما هـو الا الامام عبد الله بن اسماعيل ! أما كلمة ميمون فكانت لقبا له قصد به تكـريم صاحبه ، وأما كلمة القداح فالمراد بها من يقدح من حوله ضوء الحكمة الالهية · ويميل ايفانوف ـ الممتلىء حماسا للفاطميين والذى يريد أن يبعد عن نسبهم كل غبار ـ الى الأخـذ بالرأى القـائل بأن ميمون كان من المـوالى وبأن كان خادما مخلصا للامام محمد الباقر لابنه جعفر ، وتبعا لذلك يرفض ما جاء عند ابن الأثير من انه كان من كبار دعاة الالحاد والـكفر وانه ألف كتابا عنوانه « الميزان فى نصرة الزندقة » ·

وفى رأينا أن ميمون القداح هذا سواء كان يهوديا حاول بث الالحاد والكفر فى الاسلام أم لا ، وسواء أكان هو جـد مؤسسى الدولة الفاطمية أم لا ، فالشىء المرجح أن الرجل كان يهوديا ونستنتج هـذا من اسمه ومن أسماء ابنائه ابراهيم وأبان وعبد الله · وفى رأينا كذلك أن اليهوديحـكم سماتهم الشخصية العجيبة التى ساهمت فى تكوينها عوامل تاريخية عديدة ممن لا يطمأن لهم ولا لمحاولتهم التقرب من ائمة الاسلام كما فعل هذا الرجل وفعل ابناؤه من بعده · ومؤرخو الاسماعيلية والمحدثون منهم بشكل خاص يتمسـكون بمقولة ان ميمون القداح هـو جـد مؤسسى الدولة الفـاطمية

ويعلون من شأنه فيؤكدون انه كان من اعلام الدعوة الاسماعيلية برتبة حجة او باب الأبواب وهو ما أتاح له مرافقة الامام وملازمته . وهم يحاولون من جهة أخرى تبرير تلك التهم التي نسبت له بقولهم ان العباسيين لما عجزوا عن مقاومة قوة الفاطميين لجأوا الى وسيلة وضيعة للنيل منهم وهي الطعن فى نسب أئمتهم .

تعود للتاريخ الاسماعيلية فنقول انها انقسمت الى فرقتين كبيرتين على اثر وفاة الخليفة الفاطمى المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ اذ دفن وزيره الافضل بن بدر الجمالى ابنه نزار صاحب الحق الشرعى فى الامامة حيا هو واحد ابنائه ونصب ابن اخته هو من هذا الخليفة وهو المستعلى - وكان حينذاك طفلا صغيرا - اماما دون حق فاطلق على من أيد هذا الوضع اسم الاسماعلية المستعلية الغربية . أما من أكد حق الامامة لنزار ولابنائه من بعده فقد أطلق عليهم الاسماعيلية النزارية او الشرقية . وانقرضت الاسماعيلية الغربية من مصر تماما على يد صلاح الدين الايوبى ولكنها مازالت موجودة فى الهند واليمن وعدن وباكستان بعد ان انقسمت بدورها الى فرق منها السليمانية التى تنسب للداعى سليمان بن حسن الذي عاش فى القرن العاشر الميلادى . وفى عصرنا هذا يطلق على زعيم السلمانية اسم الداعى المطلق ومقره اليمن وله نائب فى الهند . وأما الداوودية فهم ينتسبون الى داوود ابن قطب شاه الداعي السابع والعشرين الذى عاش فى نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين وقد أصبح يطلق عليهم اليوم اسم البهرة وهم منتشرون فى الهند وباكستان وعدن وجبال حراز باليمن . وقد قدم البهرة خدمة جليلة للتراث الاسماعيلى بمحافظتهم عليه اذ استطاع دعاتهم ان يحافظوا على عدد كبير من المؤلفات الدينية والادبية التى وضعها علماء ودعاة الدعوة فى مصر فى العصر الفاطمى بينما ضاعت هذه المؤلفات من مصر ذاتها كذلك حافظوا على المؤلفات التى وضعها دعاة الفرس واليمن فى العصر الفاطمى ولولاهم لما عرفنا شيئا عن حقيقة الدعوة الاسماعيلية الا عن طريق كتب اعداء الاسماعيلية .

أما الاسماعيلية النزارية أو الاسماعيلية الشرقية فقد اسست دولة كان لها شأن خطير فى ايران والهند والشام اقامها الحسن بن الصباح الفارسى الأصل متخذا من قلعة الموت جنوبى قزوين مركزا له هو واتباعه الفدائيين المدربين احسن تدريب وقد دعا لامام من اصل فاطمى وهو احد ابناء نزار بن المستنصر بعد أن اخفاه فى قلعته . وقد عرفت هذه الدولة باسماء عديدة عند المؤرخين : فمنهم من سماها بالباطنية لأخذها بالباطن ومنهم من أطلق على اصحابها اسم الحشيشية لتعاطى اصحابها الحشيش وان نفى عنهم البعض الآخر هذه العادة السيئة التى تتعارض مع اشتهروا به من عمل فدائى ، أما المؤرخين الغربيون فيطلقون على هؤلاء الاسماعيلية اسم السفاكين لقيام دولتهم على العنف وسفك الدماء . ومن بقوا من الاسماعيلية الشرقية النزارية الى اليوم يطلقون على انفسهم اسم النزارية ليميزوا انفسهم عن الاسماعيلية الغربية اصحاب الدعوة الفاطمية ؛ كما يسمون انفسهم باسم المؤمنين أو المسلمين أو أهل الوحدة . وهم مازالوا يعيشون فى سوريا جنبا الى جنب مع النصيرية والدروز وهناك يطلق عليهم اسم الاسماعيلية فحسب . وهناك عدد منهم فى ايران وفى افغانستان وفى شرق افريقيا وفى آسيا الوسطى وفى الهند ، وامامهم الروحى هو الامام التاسع والأربعون ويدعى انه من نسل على بن أبى طالب وهو كريم خان وهؤلاء الاسماعيلية الشرقية يدعون ان شمس التبريزى وجلال الدين الرومى الصوفيين المعروفين كانا من أعلام مذهبهم .

٢ ــ نظرية الامامة عند الاسماعيلية :

غالى الاسماعيلية فى ستر ائمتهم لفترات طويلة من تاريخهم خشية بطش الحكام بحيث يصعب تحديد اسماء هؤلاء الأئمة فى دور الستر على ان ثمة اتفاقا بين المؤرخين على ان سلسلة الأئمة عند الاسماعيلية هى على النحو التالى مبتدئين بالحسن بن على الحسن بن على بن ابى طالب ، ثم الحسين ابن على بن ابى طالب ، فعلى زين العابدين بن الحسين ، فمحمد الباقر بن على زين العابدين ، فجعفر الصادق بن محمد الباقر ، فاسماعيل ابن جعفر الصادق ، فمحمد بن اسماعيل وهو آخر الائمة الظاهرين . أما الائمة المستورون الذين اعقبوا الامام محمد بن اسماعيل فلا نعرف منهم الا عبد الله بن محمد بن اسماعيل واحمد بن عبد الله والحسين بن احمد ،

وكل ما نستطيع أن نؤكده أن فترة الستر أو الغموض الشديد هذه امتدت من عام ١٤٧ هـ أى من تاريخ وفاة جعفر الصادق الى عام ٢٩٦ هـ وهى سنة ظهور عبيد الله المهدى بالمغرب وتأسيسه للدولة الفاطمية • ولعل تمسك الاسماعيلية بمبدأ التقية مما ساعدهم على الاستتار • وهم يتمسكون اكثر من غيرهم من فرق الشيعة بقول الامام جعفر الصادق : « التقية دينى ودين آبائى ومن لا تقية له فلا دين له » • والامام فى دور الستر أى عندما لا يكون على رأس دولة حقيقية ظاهرة يخفى شخصيته عن الجميع باستثناء كبار دعاته • بل كان امعانا فى الخفاء يسمى الدعاة باسمه ويلقبهم بلقبه مما يزيد من التمويه •

وبالرغم من انه يمكننا القول بوجه عام ان اراء كل الفرق الشيعية عن الامامة تكاد تكون واحدة الا أن علينا أن نلاحظ أن الاسماعيلية يخلعون على ائمتهم صفات لم تعرفها الفرق الاخرى هى صفات باطنية بحيث جعلوهم فى مرتبة لا تمت الى البشرية بصلة • فالامام عندهم هو «وجه الله» و « يد الله » و « جنب الله » ، وهو الذى يحاسب الناس يوم القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار • وهو الصراط المستقيم و « القرآن الكريم » • الا يمكننا القول انهم بذلك الهوا الأئمة صراحة • والامام عندهم منصوص عليه تماما كما هو الحال عند الاثنى عشرية وان اختلفوا معهم فى سلسلة الائمة بعد جعفر الصادق ، والنص يكون من السابق للاحق بحيث تتسلسل الامامة فى الاعقاب أى أن الامام ينص على احد ابنائه • والغريب ان كثيرا من ائمة الاسماعيلية لم يحترموا هذا الأصل الاساسى من اصول العقيدة لاعتبارات سياسية •

كانت الامامة دائما عند الشيعة الاسماعيلية هى عماد عقيدتهم وفلسفتهم لأنهم جعلوا ولاية الامام هى الركن الأساسى لجميع أركان الدين، وثمة قول لعلى يذكرونه دائما وهو رده على هذا السؤال « ما الايمان وما الاسلام ؟ » قال « الاسلام الاقرار والايمان الاقرار والمعرفة فمن عرفه الله نفسه ونبيه وامامه ثم اقر بذلك فهو مؤمن » •

ويختلف الاسماعيلية عن بقية فرق الشيعة بل عن الاثنى عشرية وهى من الامامية مثلها مثل الاسماعيلية بقولهم بنوعين من الامامة فهناك

« امام مستودع » و « امام مستقر » • والامام المستودع هو من يباشر سلطات الامام الدينية والزمنية فى حالة وفاة أحد الائمة ، بينما ولى عهده ما يزال طفلا صغيرا لا يستطيع أن يقوم بمهام الامام ، وتنتهى مهمته ببلوغ الامام المنصوص عليه السن اللائق • اما الامام المستقر فهو الامام العادى • والامام المستودع لا يتمتع بأى سلطان روحى كما أن ليس من حقه أن ينقل الامامة الى احد ابنائه بل هو يحكم باسم الامام الشرعى وحسب • وهو معصوم عصمة مكتسبة من مرتبته أما الامام المستقر فهو صاحب النص الشرعى وصاحب السلطان الدينى وعصمته ذاته • وعندما كان الائمة فى مرحلة الستر خوفا من أعدائهم اى قبل أن يتمكنوا من تأسيس دولة اتخذوا ائمة مستودعين تعمية لأعدائهم وسترا على صاحب الحق الشرعى • فى استطاع الاسماعيلية اذن دائما أن يكون لهم امام سواء أكان مستقرا أو مستودعا فى كل زمان • وهذا أمر ضرورى بالنسبة لهم لأن معرفة الامام ضرورية للشيعى الاسماعيلى المؤمن فعندهم أن من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية •

وفى البدء ذهبت الاسماعيلية النزارية أو بمعنى أصح ذهب منشىء هذه الطائفة وهو الحسن بن الصباح الى أن الامام هو المسئول الأول عن أتباعه ، وهو الذى يتحمل بدلا عنهم الحساب يوم القيامة ان أطاعوه طاعة تامة وآمنوا بامامته • وبذلك دخلت الدعوة الاسماعيلية على يد هذا الرجل دورا جديدا من أدوار العقيدة وهو دور عدم القيام بالفرائض الدينية من صلاة وصوم وحج ، ولكن بعد قليل تراجعت الاسماعيلية النزارية عن تلك الدعوة بل واحرقت كتب الحسن بن الصباح والكتب السرية التى وضعت عند نشأة هذه الفرقة وتسربت الى أهل السنة • وما يزال الاسماعيلية النزارية يحتفظون الى اليوم بمبدأ الطاعة العمياء للأئمة ، ذلك المبدأ الذى كان فيما مضى من أهم مقومات العمل السرى الناجح الذى برع فيه الاسماعيلية • ومن المعروف ان هذا المبدأ من أصول التراث الفارسى الذى يعتبر طاعة الأكاسرة واجبا مقدسا •

لعله يكون قد اتضح من عرضنا هذا الذى جمع بين العرض التاريخى والعرض التحليلى الفلسفى لمفهوم الامامة ، لعله يكون قد اتضح أن

الامامة عند الاسماعيلية مفهوم سياسى فى المقـام الأول ثم اكتسى بصـيغة دينية حتى يكتسب قوة العقيدة ٠لقد ارادت هذه الفرقة أن تحقق أهـدافا سياسية معينة لـذا صاغت مفهـوم الامامة ـ بما أن الامام هو رأس النظام السياسى عندهم ـ بما يحقق هذه الأهداف ٠

٣ ـ الدعــوة :

سواء أكانت العقيدة الاسماعيلية عقيدة دينية خالصة كما يزعم أصحابها ، أم عقيـدة سـياسية تسربلت برداء الدين طمعا فى التأثير والانتشار فالامر المتفق عليه أن اتباعها عملوا على نشـرها بوسيلة كتب لهـا نجاح باهر كما يذكر لنـا التاريخ ٠ وما هذه الوسيلة الا الدعوة التي ادت الى زعزعة اركان الدولة الاسلامية الرسمية ونعنى بها الدولة العباسية ٠

ويرجع نجاح هذه الدعوة فى رأينا الى ايمان اصحابها الشديد بها والى اقتناعهم بضرورة التضحية بأرواحهم من اجلها وتنفيذا لأوامر الرؤساء الروحيين ٠ فما هى هذه الدعوة ٠

" الدعوة أو الدعاية باسلوبنا المعاصر كانت هى الوسيلة المبتـكرة التى ابتدعها الاسماعيلية لتحقيق أهدافهم فى دور الستر وفى دور الظهور معا ، اذ فطنوا الى تأثيرها الذى قد يفوق تأثير الحملات العسكرية ، ولذا جعلوها من صميم عقيدتهم وفلسفتهم المذهبية ٠ان الكلمة أمضى سلاح ٠ وكان أهم مفهوم فى الدعوة الشيعية الاسماعيلية اعتمد عليه دعـاة الاسماعيلية المنبثين فى كل مجتمع هو القول بالمهدى المنتظر الذى سيملاء الدنيا عدلا بعـد امتلأت جورا ٠ وقـد نظم الاسماعيلية دعايتهم تنظيما دقيقا على غرار الدورة الفلكية ، فـكما أن السـنة تنقسم الى اثنى عشر شهرا قسموا هم العالم الى اثنى عشر قسما أو جزيرة ٠ وهذه الجزر هى العرب والترك والبربر والزنج والحبشة وخزر والصين وفارس والروم والهند والسند والصقالبة ٠ وجعلوا لكل جزيرة من هذه الجزر داعيا هو المسئول الأول عن الدعاية فيها ويطلق عليه لقب « داعى دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » ٠ وكما أن الشهر مقسم الى ثلاثين يوما فكذلك لكل داعى من دعاة الجزر ثلاثون داعيا نقيبا لمساعدته فى نشر الدعوة وهؤلاء النقباء هم عيون حجة الجزيرة المنبثة فى كل مكان ٠ ويتبع كل داع نقيب

اربع وعشرون داعيا اى أن عددهم يماثل عدد ساعات اليوم · وكما أن اليوم ينقسم الى نهار وليل قسموا هؤلاء الدعاة الى قسمين متساويين قسم الدعاة الظاهرين ظهور الشمس بالنهار وهؤلاء هم المكاسرون ، وقسم الدعاة المحتجبين المستورين استتار الشمس بالليل وهؤلاء هم المأذونون · وأول مراحل الدعوة يقوم بها أحد المأذونين فاذا ما نجح فى تشكيك المستجد فى عقيدته الأصلية وجعله مستبعدا لتلقى العقيدة الاسماعيلية أحاله الى احد المكاسرين الذى يزيد من زعزعة عقيدته · ولقد وصف لنا الغزالى الامام السنى الشهير والذى تحاول بعض الدراسات الحديثة اثبات أنه كان من عتاة الباطنية اذ نجح فى أن يكون فى الظاهر أحد أعمدة السلطة السنية بينما هو فى « الباطن » باطنى أصيل نجح فى تطبيق مبدأ التقية ، مراحل الدعوة فى كتابه الشهير « فضائح الباطنية » فقال انها تبدأ « بالتأنيس » وما التأنيس الا محاولة كسب ود المستجد حتى توجد الألفة بين الاثنين · وفى هذه المرحلة يكثر الداعى من ذكر المواعظ اللطيفة ومن الطعن فى أصحاب السلطة وفى العلماء · اى أن الداعى يقذف بالمستجد فى بحر الشك العميق ، ولكنه يلوح له من أن لآخر بالأمل فى النجاة ذلك الأمل الذى لايستطيع تحقيق الا آل البيت ببركتهم · والحيلة المتبعة من قبل الداعى فى هذه المرحلة هى حيلة « التعليق » فالداعى لايكشف لغريبته عن الحقائق التى من شأنها تقويض الشكوك التى اثارها هو فى نفسه بل يتركه معلقا متعطشا للمعرفة · فاذا ما بلغ المستجد — الذى أصبح مستجيبا بعد أن جرد من كل يقين — درجة معينة من الشوق والاستعداد اشترط عليه الداعى المكاسير أخذ عهد أو ميثاق الكتمان عليه · · فاذا ما وافق هذا المستجيب بدأت « حيلة التدليس » وتتلخص فى الا يكشف له عن الاسرار كلها دفعة واحدة بل يكشف له فحسب عن قاعدة المذهب الا وهى أن أسرار القرآن لايعرفها الا آل البيت · ويستشهد هنا على صحة ذلك بحديث الرسول (ص) لما سئل عن معرفة الحق من بعده : « الم اترك فيكم القرآن وعترتى » ويفسرون لفظ العترة هنا باعقابه فهم وحدهم الذين يقفون على معانى القرآن الحقيقية · وكان الداعى المكاسر اذا ما تأكد من سقوط المستجيب تماما فى الشك المطلق ومن اقتناعه بالفكرة الوحيدة اليقينية التى كشف له عنها الا وهى أن آل البيت ينفردون بمعرفة أسرار القرآن ، أحاله الى داعى أعلى منه مرتبة هو النقيب · ويخدن شديد وفقا

لخطة محكمة للغاية كان هـذا الداعى يفسر له بعض المشكلات والمسائل المذهبية تفسيرا هو اقرب الى تفسير أهل السنة والجماعة وان كان يلمح له من وقت لآخر ببعض التأويلات الباطنية المبدئية التى لا ضرر من كشفها ، ويبرر له هذه التاويلات الباطنية بأن للقرآن باطن هو اللبـاب وله ظاهر ما هو الا القشر • وفى هذه المرحلة تتزعزع ثقـة المستجيب فى النقل • وكان الدعاة الاسماعيلية يسلكون مسلكا شديد الذكاء ويدل على معرفة دقيقة بالنفس البشرية ؛ فنظرا لمكون الانسان بطبيعته يخشى الخروج على المالوف فقد كان هـؤلاء الدعـاة ليطمئنوا المسـتجدين يدعـون أن عليه القوم وكبار المفكرين فى عصـرهم الذين يحظون بثقـة الناس واحترامهم ممن يدينون بمذهبهم • ومن باب الحـذر والاحتياط كانوا يختارون من هم بعاد عن البـلاد حتى يصعب التاكد من صحة او خطأ مزاعمهم • وليطمئن قلب المستجيب كان الداعى يؤكـد له قرب الفـرج وانتصار اصحاب هذا المذهب اى الاسماعيلية ، اليست حيل هذه الدعوة من قبيل ما نسميه اليوم ببلبلة الافكار وبغسيل المخ ؟!

اسـاس الدعـوة الاسماعيلية كما اتضح من العرض هـو الحذر الشديد والتخطيط الدقيق للمراحل المختلفة • فالمستجيب لا ينقل الى مرحلة أعلى ولا يكشف له عن مزيد من الاسرار الا وفق برنامج محكم • والمستجيب الذى يرجى منه خيرا هو الذى يسمح له بحضور مجالس داعى دعـاة الجزيرة الذى يتمتع وحده بحق تعليم النـاس التاويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث من جهة وتعليم الدعـاة فلسفة الدعـوة المذهبية أى تعليمهم الحقيقة من جهة اخرى • وعندما يصـل المستجيب لهذه المرحلة يصبح داعيا • والامام هو الذى يختار بنفسه من دعاة الجـزائر أقواهم بياناوأغزرهم علما ليجعله « داعى الدعاة » الذى يشرف على الدعوة فى جميع الجزائر ليكون الواسطة بين دعاة الجزائر وبين الامام • ومرتبـة داعى الدعاة ليست من المراتب السرية فكل الدعاة يعرفونه • وثمة مرتبه أرقى وهى مرتبة الحجة وصاحبها هو « حجة الامام » وفى بعض الاحيان يكون داعى الدعاة هو فى نفس الوقت حجـة الامام اما اذا كان الحجة لا يقوم الا بوظيفته هذه فانه يكون مستترا لا يعرفه أحد حتى داعى الدعاة نفسه • وهناك مرتبه سرية أخرى وهى مرتبة باب الابواب وصاحب هذه المرتبة يجهله الجميع ولا يعرفه الا الامام فقط ولم يصـل الى هـذه

المرتبة الرفيعة عبر التاريخ الا افراد قلائل يعدون بالآحاد • وهـذه المرتبة تلي مرتبة الامام مباشرة • والعجيب اننا لا نعرف الى الآن الشخصيات التى شغلت هذه المرتبة كما لا نعرف طبيعة وظيفتهم ! • وواضح من هذا العرض أن الدعوة الاسماعيلية هى جهاز سرى دقيق التنظيم للغاية وقائم على اسس فكرية ومذهبية مدروسة بعناية مما جعلها تنجح نجاحا كبيرا كما يشهد بذلك التاريخ •

٤ ــ نظرية التأويل

ذهب الاسماعيلية الى أن الله خص عليا بن ابى طالب بالتأويل كما خص الرسول (ص) بالتنزيل فوراء كل ظاهر وهـــو « المثل » باطن هو « الممثول » ، وهـــذا الباطن الذى لا نبلغه الا بالتأويل لا يصـــل اليه الا الراسخون فى العلم وهم الأئمة الذين ينقلونه لكبـــار الدعاة • قال داعى الدعاة المؤيد فى الدين هبه الله « يخلق اللـــه امثالا وممثولات ، فجسم الانسان مثل ونفسه ممثول ، والدنيا مثل والآخرة ممثول » • ولقد اورث على بنابى طالب علمه الباطن للائمة من أعقابه بامر من اللـــه ، ولذا فاسرار الدين لايعرفها الا هؤلاء الائمـــة ولهم ان يطلعوا عليها من يستحق فحسب •

وتأولت الاسماعيلية كل ما جاء فى القرآن ، وكل فريضة من فرائض الدين • ومن اشهر تأويلاتهم أن الجنة ما هى الا نعيم الدنيا ، وما العذاب الا شقاؤها ، وأن الصـــلاة فى حقيقتها هى موالاة الامام ، والحج هى زيارة الامام ، والصوم ما هو الا الامساك عن افشاء سر الامام وهو ليس أبدا الامساك عن الطعام كما يعتقد بعض المسلمين • ومن تأويلاتهم التى لايفشونها تأويلاتهم لمعانى حروف الهجاء فى أوائل السور كقوله « الم » و « طس » و « طــه » و « كهيعص » وبما جــاء فى القــرآن من أن أبواب الجنة ثمانية بينما أبواب النار سبعة •

ولم يعرف الاسماعيلية حدودا للتأويل فحتى الله جعلوا له تأويلا فى مذهبهم ، وهو تأويل فلسفى متاثر بالفلسفة الافلاطونية والافلاطونية المحدثة • فالله عندهم ليس هو الخالق ، وقد جردوه من كل صفاته المذكورة فى القرآن ونزهوه كل التنزيه زاعمين ان نفى المعرفة هو حقيقة المعـرفة

وسلب الصفة هو نهاية الصفة . نفوا عن الله تعالى كل اسمائه الحسنى التى نسبها لنفسه وجعلوها للعقل العلى فوضعوه بكل صفات الكمـــال الالهية . وهم فى هذا لا يختلفون فى شىء عن الفلاسفة اليونان وخاصة الافلوطينيين منهم القائلين بالفيض . ان العقل الكلى عندهم اصبح هــو « المبدع الاول » فهو المكان السابق والروح الاول وهو الذى رمز اللــه له فى القرآن بكلمة « القلم » فى الآية « نون والقــلم وما يسطرون » وصفة العقل الاساسية هى العلم . والعقل يخلق بدوره النفس الكلية وصفتها الاساسية هى الحياة وهى التى رمز اليها فى القرآن « باللوح المحفوظ » . وبمـا أن العقل الكلى هـو الأول والسابق فالنفس الكلية هى التـالى . والنفس هى التى تنتج المـادة الاولى التى تخلق الكوكب والارض وهى سلبية وتتقبل تاثير الصور الموجودة اصلا فى العقل الكلى . وبالاضافة الى العقل والنفس الكليين هناك ايضا موجودان ضروريان واوليان وهما المكان والزمان . وبفضل هذه الكائنات الخمس يوجد كل ما فى الكون . ومن الواضح تماما ان نظــرية الاسماعيلية فى الوجود تكاد تكون هى تاويل دينى لهذه النظرية الفلسفية اليونانية . وذهب الاسماعيلية الى ان الخلاص للانسان لا يكون الا باكتساب العلم الذى هو صفة العقل الكلى ، ولم يحدث ذلك الا للنبى محمد (ص)فهو الناطق أو هو تجسيد العقل الكلى، أما خلفاؤه الائمة فهم المتأولون لما نطق به محمد وبالتالى هم ايضا بشكل ما تجسيد للعقل الكلى ويتصفون بكل صفاته اى بكل صفات الله الحسنى . والعقل الكلى عندهم هو الواحـد الصمد المنتقم الجبار ! ولم يستطعوا ، وهذا بدهى ، ان يصرحوا بمثل هــذه التأويلات للعامة او للمستجدين فأخفوها ولم يصرحوا الا بما لا يخالف منها العقائد السائدة فى البيئة فمثلا كانوا فى مصر لا يظهرون الا ما لا يخالف مذهب الشافعى ومذهب مالــك .

ويتضح مما ســـبق أن الاسماعيلية مزجت ووفقت بين العديد من الآراء الفلســفية والديانات والعقائد فجاءت نســيجا فريدا بين العقائد الاسـلامية الشيعية . اخذت عن الفلســـفة الفيثـاغورية جعلها الاعداد هى أصـل الوجود وصبغت هذه الفكرة بصبغة اسـلامية وجعلت الواحد الفيثاغــورى هــو العقــل الكلى ، والاثنين همـــا العقـــل والنفس

اى القلم واللوح ، اما الثلاثة فتتكون من محمد وعلى وفاطمة ، والخمسة عندهم هى القلم واللوح وميكائيل واسرافيل وجبريل • وتأولوا هؤلاء الخمسة فاصبحوا محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين اى الامام والحجة والداعى والمأذون والمكاسر• تأولوا الاعداد اذن فجعلوا لها ما يقابلها من الدين • وتأثرت الاسماعيلية بنظرية المثل الافلاطونية التى تقول بأن العالم الحسى ما هو الا شبح او ظل للعالم المثالى فذهبت الى ان لكل ظاهر باطن وأن الأول يدل على الثانى • وقد اتضح لنا أن فكرة الباطن شغلت حيزا كبيرا فى فكر هذه الفرقة • كما تأثرت الاسماعيلية بالافلاطونية المحدثة فكما ذهبت الافلاطونية المحدثة الى العالم خلق بواسطة اللوغوس (الكلمة) ذهبت الاسماعيلية الى ان العالم خلق بواسطة كلمة « كن » كما جاء فى الآية « انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون » • وتأولوا حرفى كلمة كن ، فادعوا أن حرف الكاف يرمز الى القلم أو العقل الكلى ، بينما يرمز حرف النون الى اللوح اى الى النفس الكلية •

وتتمثل خطورة هذه النظرية فى اختلاف التأويلات باختلاف الائمة ودعاتهم • فمثلا كانت التأويلات فى فارس غيرها فى المغرب • ولقد حرص الفاطميون لتفادى هذا الاختلاف والتباين الى الاعتدال فى التأويل • اما الاسماعيلية النزارية أو الشرقية فقد اعتنقت هذه النظرية وعملت بها ، ولذا استحقت لقب الباطنية الذى أطلقه عليها المؤرخون القدامى • ويذهب بعض المحدثين من المؤرخين المتحمسين للفكر الاسماعيلى الى انه من الخطأ الاحتفاظ بلقب الباطنية كاسم للاسماعيلية لأن هذه الفرقة أخذت بالباطن كما اخذت بالظاهر تماما ، بل كفرت فيما يذهبون كل من اعتقد فى الباطن دون الظاهر • ويبدو لنا أن هذا يصدق على الاسماعيلية الغربية دون الاسماعيلية النزارية التى اعلنت من شأن الباطن الى حد كبير ولذا استحقت فى رأينا هذا اللقب للتمييز بينها وبين غيرها من الفرق •

أما اذا أردنا الحديث عن تأثر الاسماعيلية بالديانات القديمة لقلنا أنها أخذت عن الديانة المصرية القديمة قولها بانتقال روح فرعون بعد الموت الى العالم العلوى لتصبح من الآلهة المتحكمة فى العالم • أخذت الاسماعيلية هذه الفكرة وحورتها قليلا فجعلت روح الامام تصبح بعد

وفاته ملكا أو عقلا من العقول الروحانية المدبرة لعالم الكون والفساد .
وربما تكون الاسماعيلية قد استفادت كذلك من محاولة القديس أوغسطين تأويل الكتاب المقدس تأويلا باطنيا واعترافها بصلب المصيح وهو مايخالف التأويل السنى لما جاء فى القرآن بشأن هذا الأمر . وفى مصر الفاطمية كان الداعى الفيلسوف الاسماعيلى الشهير احمد حميد الدين الكرمانى يستشهد بآيات من التوراة والانجيل ويتأولها تأويلا يتفق مع العقيدة الاسماعيلية .

وبالرغم من ان عقيدة الاسماعيلية وفكرها همـا مزيج من العقيدة الاسلامية والديانات القديمة والفلسفات اليونانية المختلفة مما كنا نتوقع معه أن تكون تلفيقا لايقبل عليه العامة الا ان تاريخها يثبت لنا عكس ذلك! فقد اقامت الاسماعيلية الدول ولعبت دورا خطيـرا فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فى مختلف البلدان التى انتشرت فيها بحيث لايمكننا انكار اثرها فى الحضارة الاسلامية العربية . اما كيف كان لهذه الدعوة أو العقيدة كل هذا التأثير بالرغم من خروجها الصريح على الاسلام فهذا أمر آخر والبحث فيه ليس مجالنا الآن .

٥ ـ مصادر التاريخ للاسماعيلية :

وتعنى بهذه المصادر المصادر الأولى سـواء اكانت تلك التى تتناول المذهب الاسماعيلى من حيث هو عقيدة أم تتناوله من حيث تاريخه . وقبل أن نبدأ بذكر هذه المصادر نلفت النظر الى أن العقيدة الاسماعيلية تطورت وفقا لتطور الاحـوال الاجتماعية والسياسية عبر التـاريخ ، كما انهـا اختلفت من مكان الآخـر . ولتوضيح ذلك نقول ان الاسماعيلية اخـذت بالتأويل الباطنى الذى من شانه مهما كان الالتزام بالقواعد المنهجية ان يجعل النصوص الدينية والأمور العقائدية بشكل عام غير ثابتة المعنى . وترتب على هذا اختلاف مصـادر الشـيعة الاساعيلية اختـلافا بينا . فالشـيعة الاسماعيلية عند المؤلفين السنيين غير الشـيعة الاسماعيلية عند المؤلفين الاثنى عشرية او عند المؤلفين الاسماعيليين انفسهم بل هى تختلف عند هـؤلاء باختـلاف زمانهم وبلادهم . ولعـل اشـهر مصـادر السنية هى « الملل والنحل » للشهرستانى و « الفصل فى الملل والنحـل »

لابن حزم ، و « الفرق بين الفرق » للبغدادى ، و « مقالات الاسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى · أما اشهر المصادر الاثنى عشرية فى هذا المجال فهى « فرق الشيعة » للنوبختى · أما اشهر تاريخ للاسماعيلية فهو « عيون الأخبار » للداعى ادريس اليمنى المتوفى عام ٨٧٢هـ ، وهو اسماعيلى العقيدة وإن كان المتخصصون فى تاريخ الاسماعيلية يرون ثغرات عديدة فى هذا المؤلف الشهير · وثمة مؤرخ آخر وهو القاضى النعمان وكتابه « افتتاح الدعوة وابتداء الدولة » يعد أعظم تاريخ للدعوة الفاطمية فى اليمن وفى شمال افريقيا فى زمن تأسيس الخلافة · وربما يكون هذا الكتاب ما يزال مخطوطا الا ان كافة المتخصصين يعرفونه واطلعوا عليه لأهميته · وللقاضى النعمان اقوم كتاب فى الفقه المذهب الاسماعيلى ونعني به « دعائم الاسلام » ·

والتاريخ لا يكون سليما اذا ما اقتصر على كتب التاريخ انما عليه أن يرجع كذلك للاعمال الفكرية التى تعكس حقيقة الفترة او المذهب الذى يؤرخ له · ولذا فالتاريخ للاسماعيلية لن يكون سليما الا اذا وقفنا على أهم انتاجهم الفكرى وهو غزير · واشهر واعظم فلاسفة الاسماعيلية كان الداعى حميد الدين الكرمانى المتوفى عام ١٠١٧ واعظم مؤلفاته « راحة العقل » و « الرياض » و « المحصول » و « الرسالة الدرية » و « الرسالة الزاهرة » و « الوديعة » و « الأقوال الذهبية » ، و « كتاب المعاد » و « تاج العقل » و « ميدان العقل » · وكلها سواء المنشور منها أو غير المنشور موجودة فى خزائن مكتبات الاسماعيلية · وللكرمانى إعمال اخرى غير هذه يخفيها الاسماعيلية ولا يطلعون احدا عليها امعانا فى السرية · وكان استاذانا د· محمد مصطفى حلمى ود· محمد كامل حسين » قد حققا « راحة العقل » ونشراه الا أن علماء الاسماعيلية يذهبون الى أن المحققين لم يفهما ما فيه من الغاز ورموز واسرار انما مرا بها مرور الكرام · ولابد من ذكر كذلك الداعى النخشبى المتوفى عام ٣٣١هـ وهو صاحب كتاب « المحصول » الذى أيده أبو يعقوب السجستانى (الذى قتل عام ٣٣١هـ) فى كتابه « النصرة فى شرما قاله الشيخ الحامد فى كتابه المحصول » · ويدعى الاسماعيلية أن من مفكريهم الفارابى وابن سينا وناصر خسرو والرازى · ومن المعروف كذلك ان اخوان الصفا كانوا من

الاسماعيلية . ويقال تفسيراً للغز مؤلفى هذه الرسائل الشهيرة ان الاسماعيلية تعرضت ، فى عهد ثانى الائمة المستورين عبد الله بن اسماعيل الملقب بالوفى والذى تولى الامامة سنة ١٩٣هـ عقب وفاة أبيه محمد بن اسماعيل ، لنقمة السلطة التى كانت تتعقبهم لابادتهم . وكرد فعل لهذه الحملة اجتمعت طائفة من العلماء الاسماعيليين والفوا اثنتين وخمسين رسالة فلسفية عرضوها على الامام الوفى فسماها « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » . ويقال ان هذا الامام لما لاحظ حسن تعبيرها عن فلسفة الشيعة لخصها فى رسالة واحدة سماها « رسالة الجامعة » . ويقال أيضاً أن الخليفة المأمون اطلع على هذه الرسال فاشطاط غضبا وأمر بالبحث عن مؤلفيها الا ان كل جهوده ذهبت سدى اذ كانوا قد امنعوا فى التخفى والتستر . ولقد تمكن بعض الباحثين من العثور على اسماء بعض مؤلفى رسائل اخوان الصفاء من بعض المخطوطات الاسماعيلية السرية نذكر منهم ابا سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى وأبا حيان التوحيدى (!) والمسجستانى وأبا سفيان وأبا الحسن على بن هارون الزنجانى .

وفى رأينا ان الاسماعيلية جاءوا بدعوة هزت علماء الاسلام السنى هزا عنيفا فهاجموها بضراوة فقام علماء الاسماعيلية بدفع هذه الاتهامات فتولد عن هذا الجدل الفكرى ثروة فكرية هامة تستحق المزيد من الدراسة فى وقتنا الحالى من جانبنا نحن أهل السنة .

الخــــاتمة :

تدور عقيدة الشيعة الامامية سواء أكانت اثنى عشرية أم اسماعيلية حول فكرة الامامة بشكل عام ونظرية المهدى المنتظر بشكل خاص . وتلك العقيدة فيما نرى ما هى الا موقف فلسفى من التاريخ سواء أكان فى ماضيه أم فى مستقبله ، بل يمكن أن يعد نظرية فى فلسفة التاريخ لا تخلو من الطوافة ولا القيمة . فهى صياغة لأمل فى مستقبل افضل ، مستقبل يسوده العدل . أن الشيعة الامامية برفضهم للخلفاء الراشدين الثلاثة السابقين على على بن أبى طالب وبرفضهم لكل من الدولة الأموية فالدولة العباسية من بعدها ، وفى جعلهم هذا الرفض عقيدة ثابتة ، انما يرفضون

الواقع كما يرفضون مسار التاريخ كله فى الماضى ، والتاريخ واقع لا يرفض ! اما الاصرار على التبشير بمستقبل بعينه يثقون به كل الثقة وينتظرون تحقيقه فهو اصرار يوتوبى لا يقوم فيما نرى الا على الحقوق الشرعية لعلى بن ابى طالب كما يتصورونها ، تلك الحقوق التى تتمثل فى خلافة الرسول • لقد تجاهلوا أن التاريخ لا يعود للوراء ليعطى لأصحاب الحق حقوقهم ، وان عليا اذا كان لم يصبح خليفة لرسول الله الا بعد أبى بكر وعمر وعثمان بن عفان فان ذلك لا يبرر اصرارهم على رفض ما حدث خاصة أن ما حدث كان بناء على شورى المسلمين جميعا وليس اغتصابا لحقوق على من قبل أفراد • وفى رأينا ان الدعوة الشيعية لم يكن همها ابدا فرض نفسها كعقيدة خالصة انما كان همها وهدفها دائما الاستيلاء على السلطة ، ولذلك كان لها ظاهر وباطن ، فهى فى الظاهر عقيدة وفى باطنها خداع للناس واستغلال لهم لتحقيق المآرب • ولعل الغزالى كان محقا تماما عندما وصف هذا المذهب « بانه مذهب ظهره الرفض وباطنه الكفر المحض ومفتاحه حصر مدارك العلوم فى قول الامام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعتريها من الشبهات » •

المراجـــــع

- ابن خلدون : المقـدمة ـ المطبعة الادبية . بيروت سنة ١٨٨٦ .
- د. احمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ـ دار المعـارف ١٩٦٩ .
- الاشعرى (ابو الحسن) : مقـالات الاسلاميين واختـلاف المصـلين جزءان ـ تحقيق ريتر ـ استانبول سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ .
- الايجى (عبد الرحمـن بن احمد) : المـواقف ـ طبـع ونشر ابراهيم الدسوقى عطية ـ القاهرة ١٢٥٧ .
- بروكلمـان (كارل) : تاريخ الادب العربى ـ ترجمـة د. عبد الحليم النجـار ـ الجـزء الثالث سنة ١٩٦٢ .
- البغدادى (أبو منصور القاهر) : الفـرق بين الفـرق وبيان الفـرقة الناجيـة منهم ـ تحقيق محمد بدر ـ مطبعة المعـارف سنة ١٩١٠ .
- د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميـة ـ طبعـة ثانيـة ـ النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ .
- حميد الدين الكرمانى : راحة العقـل ـ تحقيق د. محمد كامل حسين ود. محمد مصطفى حلمى ـ القاهرة ١٩٥٢ .
- الشهرستانى : الملل والنحـل .
- العاملى (محمد السيد محسن الأمين الحسينى) : أعيـان الشـيعة ـ مطبعة الترقى ـ دمشق ١٩٣٦ .
- العاملى (محمد حسين) : الشيعة فى التاريخ ـ مطبعة العرفان ١٩٣٨ .
- فلهاوزن (يوليوس) : أحزاب المعارضة السياسية والدينية فى صدر

الاسلام ـ ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ـ النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ .

ـ الغزالى (أبو حامد) : فضائح الباطنية ـ تحقيق وتقديم وتحليل
Ignaz Goldziher E. J. Brill — leiden 1916

ـ محمد الحسين آل كاشف غطاء : أصل الشيعة وأصولها ـ الطبعة السابعة ـ النجف ١٩٥٠ .

ـ د. مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ـ الطبعة الثالثة ـ دار الاندلس ـ سنة ١٩٧٩ .

ـ مغنية (محمد جواد) : مع الشيعة الامامية ـ مطبعة العرفان ـ صيدا
الشيعة فى الميزان ـ دار الشروق .

ـ نوفل افندى نوفل : كتاب سوسنة سليمان فى أصول العقائد والاديان ـ طبعة رابعة ـ المطبعة الامريكية فى بيروت سنة ١٩٢٢ .

De Vaux : Le Mahométisme. Le génie sémétique et le génie aryen dans l'Islam — Paris 1897.

Les pensurs de l'Islam-tome V-Paul Geuthner — Paris 1926.

Goldziher (I) : Le dogme et la loi de l'Islam-traduction de Félix Arin-Paul Geuthner 1920.

Guyard (S): Fragments relatifs à la doctrine des Ismaléiens-Paris 1874.

Ivanow (W) : A guide to Ismaili literatur — Royal asiatic society 1933.

Lewis (B) : The origins of Ismailism-Cambridge 1940.

Nicholson (R.A.) : A literary history of the arabs — Unwin Ltd. London 1923.

الفصل الثانى

الزيـــــــدية

١ ـ زيد بن على بن الحسين مؤسس الزيدية واراؤه المذهبية :

تنسب الزيدية الى زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ٠ وهى تقابل الامامية وتمثلان معا اكبر فرق الشيعة التى مازالت باقية حتى اليوم ٠ وبقدر ما عرف عن الامامية من تطرف بقــدر ما عــرفت الزيدية بالاعتدال الذى يجعلها اقرب فرق الشيعة الى اهــل السنة ؛ وربما يكون السبب فى ذلك سعة ثقافة وغزارة علم مؤسسها زيد ومحاولته الرجوع الى الاصول الاسلامية الأولى التى ارساها الرسول وتمسك بها جده على بن ابى طالب ٠

ولد زيد كما جاء فى مقدمة كتابه الشهير « المجموع » عام ٧٥هـ وان كان معظم المـؤرخين يجمعون على انه توفى عــام ١٢٣هـ وله من العمـر اثنين واربعين عاما وبذا يجعلون مولده عام ٨٠هـ ٠ وامه امة سندية كان المختار الثقفى هو قد اهداها الى ابيه على زين العابدين ٠اما ابوه على زين العابدين فهو الوحيد من بين أولاد الحسين بن على الذى بقى على قيــد الحياة بعد فاجعة كربلاء اذ كان مريضا وقتها فلم يحضر تلك المعـركة ٠ والتقى على زين العابدين بالامامة الروحية بعد ان رأى ما اصاب اهــله بسبب المطالبة بالامامة السياسية ٠ اما ابنه زيد الذى اتصل بعلماء العراق على اختلاف اتجاهتهم والذى زامل واصل بن عطاء مؤسس المعتزلة فقــد ادرك الرسالة التى عليه ان يحققها وهى اعلان الرأى والمطالبة بالحق ، ولذا خرج فى الكوفة غير منصت لرأى اخيه محمد الباقر الذى حــاول أن يثنيه عن الخروج ، خاصة اذا كان ذلك بين أهل الكوفة وهم اهل غدر ومكر ، وقد خذلوا جدهما على وقتل بها الحسين ٠ ويذكر بعض المؤرخين أن محمد الباقر تنبأ لأخيه بمصيره ، اى انه تنبأ بصلبه بكناسة الـكوفة ان هو خرج ٠ حمل زيد السلاح هو وانصاره فـكان اماما بالمفهوم الذى

اعطاه هو للامامة كما سيتضح بعد قليل ، وبذا اصبح فى عهده امامان هو والامام الاثنا عشرى جعفر الصادق ابن اخيه محمد الباقر • بعد جهد طويل استطاع عامل الكوفة يوسف بن عمر الثقفى أن ينتصر عليه واستشهد زيد فى الثالث من محرم عام ١٢٢هـ على اثر اصابته بسهم فى جبهته • دفنه ابنه يحيى فى ساقية ماء حتى لا يعرف الاعداء مكانه ، ولكن الامر تسرب واستخرجه يوسف بن عمر وبعث برأسه الى هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى فى دمشق ، اما جسده فقد صلب عريانا بأمر من الخليفة ، وبقى مصلوبا خمسين شهرا فى كناسة الكوفة حتى جاء الوليد ابن زيد ابن عبد الملك وخرج يحيى بن زيد بخراسان مواصلا دعوة أبيه فأمر هذا الخليفة عامله بالكوفة ان يحرق ما تبقى من جسد زيد ففعل ، وذر رماده فى الفرات ! وقد سخر احد شعراء بنى امية من زيد ودعوته عندما راه مصلوبا قائلا :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة

ولم أر مهديا على الجذع يصلب

كان زيد اول من حاول من آل البيت بعد كارثة كربلاء انتزاع الامامة من الأمويين اذ خرج الى الناس حاملا فكرة • اهتم بمشاكل عصره واتخذ فيها موقفا ايجابيا هو موقف التوجيه والبيان : .

وقد أجمع الذين عاصروا الامام زيد على انه كان عالما غزير العلم محيطا بشتى العلوم الاسلامية فهو عالم بكل علوم القرآن من تفسير وعلم بالناسخ والمنسوخ كما انه عالم من علماء العقائد وله آراء تعد من تفسير العقائد الاسلامية ، كما كان ملما بمقالات الفرق المختلفة فى هذه العقائد• تتلمذ عليه شيوخ للفقه بالكوفة حتى انه ليروى ان أبا حنيفة كان من تلاميذه • وكثير من المؤرخين يذكرون أن أبا حنيفة كان على بيعة الامام محمد بن عبد الله وان حافظ على بيعته هذه وسجن بسببها حتى جاءته المنية وهو بحبسه اخلاصا منه للمذهب الزيدى •

وتعليلنا لسعة معارف زيد انه نشأ فى بيت علم ففى عصره كان فى هذا البيت الاربعة ائمة فى العلم والفقه هم والد زيد نعنى به على زين العابدين ، وأخوه محمد الباقر وكان يكبره كما كان استاذا له من بعد ابيهما ، وجعفر الصادق ابن محمد الباقر اى ابن اخيه وكان فى سن زيد ،

وعبد الله بن حسن وكان فى مثل سنة كذلك • كما ان السبب فى سعة علم امامنا هو زياراته العديدة للعراق منبت الفرق والأرض التى ظهرت فيها الفلسفة الاسلامية ذات الأصول المتنوعة • ولعل زيد قد تأثر بالمعتزلة اكثر من غيرها من الفرق • ويعلل بعض الباحثين ذلك بأن واصل بن عطاء • كان زميلا لزيد ، بينما يعلل البعض الأخر نفس الأمر بأن زيدا كان تلميذا له ؛ ويجد فريق ثالث حلا وسطا لهذه المشكلة فيذهب الى أن مذهب المعتزلة ما هو الا مذهب السلف من آل البيت ، وهو ما ارتد اليه زيد ، والى أن واصلا مؤسس الاعتزال تلقى مذهبه عن أبى هاشم ابن محمد بن الحنيفة أى عن حفيد على بن أبى طالب •

وفى عهد محمد الباقر تشعب البحث فى علم الكلام ، وظهرت آراء المعتزلة العقلية وكثر الجدل حول الذات الالهية وصفاتها ، وماهية الروح ، فشارك الباقر فى البحث فى ذلك كله وان ابتعد عن البحث فى الذات الالهية معللا ذلك بأن هذا أمر يفوق مستوى عقول البشر ، واكتفى الباقر بالاهتمام بهذه الأمور الفكرية كما اكتفى بالامامة الروحية للشيعة مبتعدا عن المشاكل السياسية متبعا فى هذا سنة ابيه على زين العابدين • ولهذا شعر كثير من الشيعة بحاجتهم الى امام قوى من آل البيت يخرج بنفسه كما فعل على والحسين ووجدوا بغيتهم فى زيد بن على زين العابدين • ومن هنا كان الانشقاق فى الرأى بين الشيعة الى امامية وزيدية •

وقد حدد زيد لما خرج للجهاد دعوته أو قضيته بقولة : « انى أدعو الى كتاب الله وسنة نبية واحياء السنن واماتة البدع فان تسمعوا لكن خيرا لكم ولى ، وان تأبوا فلست عليكم بوكيل » • وهذه الدعوة المحددة الصريحة هى التى جعلت اهل السنة يعتبرون الزيدية اقرب اليهم من جميع فرق الشيعة الأخرى • ويعد زيد بدعوته هذه من كبار ثوار الاسلام ومن أوائل مفكريه السياسيين الذين التزموا باصول الاسلام دون مغالاة أو شطط • وبخروجه أصبح زيد اماما وبذا أصبح هناك امامان فى آن واحد : زيد منجهة ، والامام الامامية منجهة أخرى ، مما أثار مشكلة لهاتين الفرقتين • وحلت الامامية هذه المشكلة حلا غريبا اذ رأت ان زيدا كان لا يمكن أن يخرج طالبا ما ليس له حق فيه وانما خرج داعيا الى العلوية بشكل عام ، لو قدر له النجاح ، وبقى على قيد الحياة لدعا للامام

الحقيقى وهو جعفر الصادق امامها هى • ومن اجل هذا فهى تجله وتجل جهاده • أما الزيدية فيقررون ان زيدا كان اماما ولذلك خرج يدعو لنصرة الحق ،وان الامامة كانت من حقه لأنه كان أكبر من الامام جعفر الصادق ابن اخيه الذى آلت اليه الامامة بينما كان هو الاحق بها لكونه عميدا لآل الحسين بعد أخيه محمد الباقر •

وكما كان زيد رجل دعـوة وجهاد كان رجل فـكر ، ويؤكد الزيديه انه كان أول من دون الفقه وصنف أبوابه ، ويذهبـون الى انه الف كتاب « تفسير الغريب » و « كتاب الحق » و « كتاب المجموع فى الحديث » الذى يضم اراءه فى الخلافة والطريق الامثل فيها • وله « المجموع فى الفقـه » وهـو تدوين للفقه المـروى عن آل البيت • وهـذان الـكتابان الأخيران هما عماد الفقه الزيدى وقد جمعهما أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى ، وهما مطبوعان حاليا فى كتاب واحـد تحت عنـوان « المجموع ــ مسند الامام زيد بن على زين العابدين بن الحسين السبط ابن الامام وهو ما رواه عن أبيه عن جده » • وقد صدر فى القاهرة عام ١٣٤٠هـ • والكتاب يتوقف فى رواياته عند على بن أبى طالب ولا يروى شيئا عن سائر كبار الصحابة، مع أن زيدا لم يطعن فى الشيخين مثل بقية الشـيعة مما يجعـل البعض يتشكك فى صحة نسبة هذا الكتاب الى زيد خاصة وان عصر التدوين بدأ بعد وفاته •

وهناك رسالة تنسب لزيد نقلها المرتضى فى « المنية والأمـل » على انها صورة لرأى ائمة آل البيت ومنهم الامام زيد وهى فى الحقيقة تمثـل اراء المعتزلة • تستنبط من هذه الرسـالة ثلاثة مبـادىء • أولهـا ان الايمان بالقضاء والقدر لايمنع حرية العبد كما لايمنع تحقق سلطان اللـه بالكامل ؛ وثانيها أن الله قد اودع الانسان قدرة على الفعل الاختيارى • فالانسان يفعل بقوة اودعها الله اياه • وثالثها ان مشيئة العبـد ليست مخالفة لمشيئة الله تعالى فالله لايعصى • وهذه الاراء على كل هى بالفعل اراء الامام زيد • وبوجه عام يمكننا القـول أن الدراسة النقدية لكتابات زيد بصورتها الحالية تظهر تعارضا بين ما جاء فيها سواء فى الناحية

السياسية أم الفقهية أم الكلامية وبين ما أعلنه زيد من مبـادىء ، ويبدو أن الزيدية عدلوا فى كتابات أمامهم على مـــن العصور مما سبب هـــذا التعـــارض •

٢ ـ نظرة تاريخية على الزيدية :

وبعد وفاة زيد تحركت الشيعة بخرسان فكثر انصاره بها مما سمح لابنه يحى أن يخرج فى زمن الوليد بن يزيد بالجوزجان فى خراسان منكرا للظلم والجور وداعيا للنفس فـكرة أبيه وكان ذلك فى ســنة مائة وخمس وعشرين هجريا ، ويقال فى أوائل العـــام التالى • واستشهد يحى بدوره فى قرية أرغونة • وقبره ما يزال موجودا • وقد صلب هو أيضا ، ويقال أنه ظل مصلوبا الى أن خـــــرج أبو مسلم الخراسانى صاحب الفضل على الدولة العباسية فأنزل جثته وصلى عليهـــا ودفنهـــا • وبعد يحيى ظهر الامامان محمد بن عبد الله بن الحسن واخـــوه ابراهيم وكانت اراؤهما تتلاقى مع اراء الامام زيد • اطلق محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية على نفسه لقب المهدى المنتظر ولعله قصد أن يدعو الى الهداية الاسلامية الا أن فكرة المهـــدى المنتظر مرفوضة عند الزيدية • وقـــد خـــرج محمد واخوه ابراهيم فى بدء عهد الدولة العباسية عند ما اشتعل النزاع بينهما وبين آل البيت ، خرج محمد النفس الزكية بالمدينة بينما خرج اخوه ابراهيم بالبصرة بعد أن التف حوله أهل فارس والأحـــواز من الـــزيدية بل والتف حوله بعض المعتزلة ، واستشهد الاثنان الاول فى البصرة بينما استشهد الثانى هو وعيسى بن زيد بالقرب من الكوفة • وذهب بعض الزيدية الى أن الامام بعد محمد بن عبد الله هو محمد بن القاسم بن على بن عمر ، وعمر هو أخو زيد بن على ، فخرج محمد بن القاسم هذا بالطالقان فقبض عليه وسيق الى المعتصم فحبسه ومات بحبسه • بينما ذهب آخرون من الزيدية الى أن الامام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذى استشهد مع ابرهايم كما سبق أن بينا ولذا جعلوا الامامة فى عقبه • وذهب فريق ثالث من الزيدية الى أن الامام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه ادريس الذى فـــر الى المغرب ومات هناك فقـــام من بعده ابنـــه ادريس فأنشأ فاس واصبح نسله من بعده ملوكا للمغرب فهم الادراسة الذين استمروا الى اوائل القرن العاشر • ونجح الزيدية فى اقامة دولة طبرستان جنـــوب يحرقزوين التى

استمرت حتى عام ٥٢٠هـ او ١١٢٦م ٠ اما اشهر دولة أسسها الزيدية فهى دولتهم فى اليمن التى أنشأها الهادى للحق يحيى بن الحسين الذى سمى بالامام المهدى وهو حفيد القاسم الرسى ٠ ومازال المذهب الزيدى سائدا هناك حتى اليوم ، أما دولة الزيدية فقد انتهت فيها بثورة اليمن فى سبتمبر ١٩٦٢ تلك الثورة التى خلعت آخر ائمة اسرة حميد الدين ونعنى به الامام المنصور بالله محمد البدر ٠ ولقد عم المذهب الزيدى كل الاقطار الاسلامية ـ باستثناء المغرب ـ وذلك لأنه على اثر استشهاد الامام زيد تفرق تلاميذه وآل البيت فى الأمصار المختلفة فاصبح لهم أتباع فى كل مكان ٠ ولم ينتشر تلاميذ الامام زيد وآل البيت بناءا على خطة انما فرارا من الاضطهاد العباسى ثم الفاطمى الاسماعيلى ٠

٣ ـ نظرية الامامة :

هناك جانبان تختلف فيهما فرقتا الاثنا عشرية والاسماعيلية من جهة والزيدية من جهة أخرى ٠ أما الجانب الأول فهو جانب ظاهرى يتمثل فى اختلاف الفريقين فى تحديد أشخاص الأئمة بعد الحسين ابن على ، وأما الجانب الثانى فهو عميق ومذهبى ويتمثل فى اسلوب المعارضة السياسية للنظام القائم ٠ فبينما ساقت كل من الاثنى عشرية والاسماعيلية الامامة فى ذرية الحسين فقط وان اختلفتا بصدد سابع الأئمة ، وتمسكت كل منهما باصرار بمبدأ التقيه ، جعلت الزيدية الامامة لكل من يخرج بالسيف ٠ ومعنى هذا انها لم تلتزم بتسلسل بعينه فى الامامة وان قصرتها بالطبع فى ذرية السبطين الحسن والحسين ؛ والتزمت بشرط واحد وهو الخروج بالسيف أى اعلان المقاومة والمعارضة وطرح مبدأ التقيه بعيدا ٠ وشرط الخروج بالسيف هذا هو الذى يمثل اسلوبها فى المعارضة الذى تميزت به من سائر فرق الشيعة الملتزمة بالتقيه خوفا من بطش الدولة الحاكمة بعد مذبحة كربلاء ، أما الزيدية فقد جسرت على اعلان مقاومتها بل جعلت هذا الاعلان هو الشرط الأساسى للامامة ٠

رأى زيد أن النبى عرف على بالوصف لا بالشخص وأن اشارة النبى لاتمنع جواز اختيار غيره ، فعلى أفضل الصحابة ومع هذا اختار الصحابة أبا بكر ومن بعده عمر لمصلحة رأوها فى اختيارهما اذ كان

عهد حروب النبى مازال ماثلا فى الأذهان ومازالت ذكرى من قتلهم على فى تلك الحروب من ابناء قريش نابضة ، فكان من الصعب أن يجمع عليه الجميع ، وكان يمكن لاختياره أن يثير فتنة بين المسلمين ؛ ولذا كان من الأفضل اختيار غيره · جوز زيد اذا اختيار المفضول اساما مع وجود الأفضل والمعيار هنا هو مصلحة الأمة اى هو معيار نفسى وعملى وواقعى مما يجعل الزيدية تختلف اختلافا بينا عن سائر فرق الشيعة · ومعنى هذا أن زيدا أنكر النص الجلى على على ، اى انكر ان تكون ثمة وصية او مايشبه الوصية لعلى · وعلى عكس سائر الشيعة ذهب زيد الى أن الشيخين ابا بكر وعمر خليفتان شرعيان وهذه المقالة علامة مميزة جدا له ولمذهبه · وقد اخذ عليه الشيعة من مناصريه هذا الموقف اذ من الممكن - التزاما بهذا المبدأ وهو جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل - الا يعتبر بنو امية مغتصبين للخلافة من آل البيت ، ولذا انفصلوا عنه وسموا بالرافضة · ويحكى أن اصل هذه التسمية هو أن هؤلاء جاءوا الى زيد وطلبوا منه أن يتبرأ من ابى بكر وعمر حتى يبايعوه فقال : بل اتبرأ ممن تبرأ منهما · فقالوا : اذن نرفضك فسموا بالرافضة من يومئذ · اما عثمان فقد توقف زيد بصدده ولم يذكر اكانت امامته فى مصلحة المسلمين كامامة الشيخين أم لا · وتعد اراء زيد هذه تصحيحا للعقائد الاثنى عشرية التى كانت سائدة بصدد الامامة داخل نطاق التشيع فى زمن زيد ·

وللامام شروط راها زيد اهمها عدم النص على الامام ، فالامامة ليست بالوراثة ومن الأفضل أن يكون الامام علويا سواء اكان من نسل الحسن أو الحسين ، وثانيهما ان يحقق صالح الأمة · وعلى هذا يجوز اختيار عقلاء الأمة للمفضول وتركهم للأفضل لو كان فى ذلك صالح للأمة ، وثالثها ان يخرج الامام شاهرا سيفه مجاهدا من أجل دعوته · ويتضح من الشرطين الأولين أن الزيدية ليسوا مثل بقية الشيعة الذين يعتقدون فى انتقال الامامة فى سلالة الحسين بن على بن أبى طالب بالضرورة ، بل هم يعتبرون كل علوى لديه الامكانات الروحية ليكون زعيما بصرف النظر عن انتمائه لسلسلة بعينها من الأئمة وتوافق عليه الجماعة هو لامام · ونظرا لتمسك الزيدية بهذين المبدأين لم يعتبرهم

الامامية من فرق الشيعة كما لم يعتبرونهم كـذلك لا من السنة ولا من الخوارج • فالزيدية ليسوا من السـنة ولا من الخوارج لأنهم حصروا الامامة فى ولد فاطمة ، كما انهم ليسوا من الشيعة لأنهم لايوجبون النص على الخليفة وما اشتراط اختيار عقلاء الأمة للامـام اى اشتراط الشورى فى الخلافة الا المبدأ الذى ارتضاه على وقبل نتائجه اى انه قبل أن يتولى الخلفاء الراشدون الثلاثة الخلافة قبله •

ومع أخذ زيد بمبدأ جواز اختيار المفضول مع وجود الأفضل فقـد رفض تطبيق هذا المبدأ الا فى حالة تحقيقه لمصلحة الأمـة أما اذا لم تكن ثمة مصلحة للمسلمين فى ذلك فلا يجوز تطبيقه • فمثلا رفض زيد امامة معاوية لأنه لا مصلحـة للاسلام وللمسلمين فى ذلك ، كما رفض خـلافة هشام بن عبد الملك وترك محمد البـاقر أو تركه هو (أى زيد) • أى أنه جعل تقـديم المفضول على الأفضـل مشروطا بتحقيق تلك الولاية لمصلحة المسلمين •وما هذه المبادىء فى الامامة الا رد فعل للوسائل المتعسفة وللعقائد المسرفة فى الخيال وفى الغلو التى كانت تلجأ اليها الامامية لاثبات النص الجلى على الامام •

أما الشرط الثالث وهو ضرورة أن يـكون الامـام مجـاهدا وعاملا فاعلا فهو دليل على خـروج زيد على الموقف السلبى الذى التزم به أئمة الاثنى عشرية من قبـله باكتفائهم بالامامة الروحية ويجعـلهم الامامة فى الأعقاب بطريقة آلية دون اعتبار لقدرات الامام الشـخصية التى تتطلبها اقامة دولة الحـق • الامامة أصبحت اذن عند الزيدية سياسية بينما هى روحية أساسا عند سائر فرق الشيعة • وعندما كان زيد يناظر اخاه محمد الباقر فى مسألة ضرورة خـروج الامام نبهة الباقر الى أن هـذا المبـدأ لو طبق لكان ابوهما زين العـابدين ليس اماما لأنه لم يخـرج • قال له الباقر : « على قضية مذهبك والدك ليس اماما » • وتطبيقا لهـذا المبـدأ الخطير ذهب الزيدية الى القـول بامـامة على والحسن والحسـين ولم يقولوا بامامة زين العابدين لأنه لم يقم بالسيف ، بينما قالوا بامامة ابنه زيد صاحب المذهب •

ونظرا لأخذ الزيدية بمبدأ ضرورة الخروج رفضوا مبدأ التقية الذى التزم به أهل البيت بعد مقتل الحسين والذى صار من عقائد الشيعة الامامية • والتقية ببساطة هى التستر والتخفى خوفا من بطش الأعداء وعدم اظهار الدعوة الا حين تكون الظروف مواتية ، وما مبدأ ضرورة خروج الامام الا شكل من اشكال مبدأ ضرورة اعلان الامام لدعوته حتى تختاره الأمة فتحارب معه لينتصران معا على الظلم والجور • أما اذا لم تشاركه الأمة دعوته فمن الطبيعى أنها ستنصرف عنه فلا يعد اماما • وفى رأينا أن هذا المبدأ هو أهم مبادىء الزيدية فى مسالة الامامة اذ انه هو الذى يميزها عن بقية فرق الشيعة ، وهو الذى يجعلها مذهب عمل وثورة وتصحيح مستمر للأمور السياسية كما هو مذهب فكر وعقيدة • وقد ترتب على هذا المبدأ رفض فكرة المهدى المنتظر فالامام لدى الزيدية لابد أن يكون ظاهرا فعالا ومناضلا وليس مستترا يتحين الظروف ويكتفى بالعمل فى الخفاء ، كما ترتب عليه أيضا رفض أن يكون الامام طفلا كما كان يحدث فى بعض الأحيان عند الامامية •

أما رابع شروط الامامة عند الزيدية فهو أن يكون الامام عالما ، وقد التزم الزيدية بهذا المبدأ العظيم فالعلماء هم ورثة الأنبياء والدليل على هذا الالتزام هو هذا الكم الهائل من المؤلفات التى وضعها الأئمة الزيديون فى كل العصور • وقد ترتب على تلك الشروط جميعا أن بقى الزيدية فى بعض الحالات بدون ائمة عندما لم يكن هناك من تتحقق فيه هذه الشروط ؛ هذا بالرغم من ذهاب الزيدية الى أن نصب الامام واجب عقلا • وثمة شروط تتفق فيها الزيدية مع بقية الشيعة منها أن يكون الامام ذكرا وحرا وبالغا عاقلا ، وافضل أهل زمانه ، وسليم الحواس والأطراف ، ولم يمارس مهنة مرزولة ، وعادلا وورعا ، وكريما ، ويحسن تصريف الأمور وعلويا مجتهدا •

ونظرا لأن الامامة عند الزيدية هى للأصلح فى المقام الأول وليست بالوراثة جوز الزيدية خلع الامام على يدى امام آخر يرى نفسه وتراه الجماعة محققا لشروط الامامة اكثر من الأول • كما أجاز زيد خروج امامين فى قطرين فى آن واحد بشرط الا يكون قد سبق أحدهما الآخر من

حيث اختيار كل الأمة له ، وإلا كان الثانى فى هـذه الحالة باغيـا . أى اجاز خروج امامين فى قطرين فى آن واحد بشرط الا تكون ولاية احدهما عامة والا تكون بينهما خصومة . وربما اخذ زيد بهذا المبدأ لما لاحظة من اتساع فى رقعة الدولة الاسلامية مما يجعل من الأصلح تجزأة الحكم مع المحافظة على مبدأ التعاون بين الحكام ، ومع مراعاة المهادنة طالمـا انهم جميعا صالحون للحكم ويحققون مصلحة الجماعة الاسلامية ، ويكشف لنـا هذا المبدأ عن نظرة انسانية واقعية وعملية للدولة ولحكمها من جانب الامام زيد ، فما أصعب أن يكون الحكم مركزيا اذا كانت الدولة ضخمة مترامية الأطـراف ، وما أصعب أن تتفق كافة البـلاد مع تبـاين ميولها واتجاهاتها على حاكم واحد خاصة اذا كان المبـدأ المعمول به هـو مبدأ الاختيار وليس مبدأ النص والتعيين .

٤ ـ الزيدية ومفهوم المهـدى المنتظر :

نشأت فكرة المهدى المنتظر على يدى المختار فى ادعائه أن محمد بن الحنفية بن على بن ابى طالب حى لم يمت وانه يعش فى جبـل رضـوى وسينزل من علياء الجبل الى دنيا الناس هاديا ومرشدا فيملأ الأرض عدلا بعد أن امتلأت جورا وظلما . واصبحت هذه الفكرة عقيدة عند الكيسانية ثم الامامية من بعدها وأن كان لكل فرقة من فرقها المختلفة امامها المهدى المنتظر . وجوزت فرق الشيعة المختلفة الآخذه بهذا المفهوم بقاء المهديين من آل البيت عده قرون على قيد الحياة فى انتظار الموعد الذى يحـدده الله للظهور ، وعللت هذه الفرق هذا الأمر الخارق للعادة بأن الله أطال فى حياة بعض الأنبياء عدة قرون بل أن بعضهم ما يزال على قيـد الحياة فهذا امر هو قادر عليه . وفى رأينا أن هذه الفرق اضطرت الى اللجـوء لهذه الفكرة لأن الخلافة عندها بالوراثة فى الأعقاب . فكانت اذا اختفى صاحب الحق فى الامامة ـ وقد حدث هذا لمعظم الفرق لأسباب مختلفة ـ ادعت انه انما اختفى فحسب وأن له رجعة . وفـكرة المهـدى المنتظر أو المخلص لها جـذور فى التراث الدينى اليهـودى المسيحى وفى التراث الفـارسى ، فهى ليست من ابتـكار الشيعة بل هى دخيـلة على المفـاهيم الاسلامية فى اصالتها اى كما جاءت فى القرآن وفى السنة . وكان لابد من

امام عالم وشجاع يقوم بتصحيح هذه الفكرة ، وكان هـذا هو دور زيد الذى رأى أن الشيعة ينتمون لعلى ويدعون لآل بيته ولذا لابد أن تكون دعوتهم متفقة مع فكرة الامام على ذاته الذى ما كان يرتضى مثل هـذا الشطط . وذهب الامام زيد الى أن كل فاطمى ، وعالم وزاهـد يخرج بالسيف داعيا الى الحق لهو امام ومهدى فى آن واحد دون أن يعنى هذا أنه المحرر أو المخلص المنتظر المبعوث من الله . وعلى هـذا فكل أئمة الزيدية مهديون . وصحيح أن الامام الذى تختاره الأمة قد يسانده الله الا انه يظل دائما مثل سائر البشر ولا يختلف عنهم اختلافا جوهريا . وما رفض زيد لمفهوم المهدى المنتظر الا نتيجة لمبدئه الخطير ونعنى به ضرورة خروج الامام وجهاده العلنى . وبالرغم من رفض الامام زيد التام لفكرة المهدوية الا أن بعض الزيدية الذين انحرفوا عن جوهر المذهب قالوا بها مثل الجارودية كما سيتضح بعد قليل . وبرفض الزيدية لفكرة المهدى المنتظر رفضوا كذلك كل ما يترتب عليها ونعنى بها تلك الصفات والقدرات الفائقة للطبيعة البشرية والتى خلعها الشيعة الآخرون على أئمتهم ولذلك لم يعد مفهوم الامام عند الزيدية غارقا فى الأوهام والأحلام بل أصبح مفهوما واقعيا فى المقام الأول . فالامام عندهم هو زعيم الجماعة وعالمها وعليه دور يلعبه بالنسبة لهم ولهذا أختير . وبينما ذهبت الامامية الى أن الأئمة معصومون من الخطأ ومنزلتهم تكاد تقارب منزلة النبى فلا يختلفون عنه الا من حيث عدم نزول الوحى عليهم وان تميزوا بعلم لدنى يفيض عليهم من الله مما يجعل كلامهم حجة فى تفسير القرآن والحديث ، ذهب زيد الى أن الامام ما هو الا بشر مثل الآخرين وهو ليس بمعصوم ولذا قد يخطىء وقد يصيب ، وجعل زيد العلم من شروط الامامة وان جعل هذا العلم مكتسبا بفضل البحث والجهد . ولعل هذه الآراء هى التى جعلت الزيدية أكثر تسامحا تجاه الخلفاء الراشدين عن سائر الشيعة وجعلتها أقرب الى السنة . ويرجع بعض الباحثين انكار الزيدية لعصمة الأئمة لعلمهم اللدنى وانكارهم لرجعة هـؤلاء لتأثر هـذه الفرقة بآراء المعتزلة وهو ما سأعرض له بعد حين .

٥ ـ اصـــول الزيدية :

من أهم أصول المذهب الزيدى الأمــــر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى عقيدة عمل بها بعض أهل البيت كما أخذ بها المعتزلة وهذان الفريقان يمثلان المصدر الذى استقى منه زيد مذهبه • وأول من أخــذ بهذا المبدأ من أهل البيت كان الحسين أما ابنه على زيد العابدين فقــد رأيناه يكتفى بالامامة الروحية بعد أن شهد ما حدث لأبيه نتيجة لتخلى أنصاره عنـــه ، وكذلك فعل محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب • الا أن الظروف حتمت على الشيعة الامامية الأخذ بمبدأ التقية ، وكان محمد الباقر مؤسس الفقه الشيعى للامامية يقول : « التقية دينى ودين ابائى • وعندما رجع زيد الى هذا المبدأ ونعنى به الأمر بالمعروف والنهى عن المنـــكر كان هــذا بمثابة الثورة على الفكر الشيعى ومحاولة لرده لاصوله الاسلامية الحقة • اعتبر زيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصلا من أصول الاسلام ، ويبــدو انه فى بداية حياته كان يأخذ بمبدأ التقية مثل ابيه واخيه ولذا كان ينادى الخليفة الأموى هشام ابن عبد الملك بقوله « ياأميــر المؤمنين » • لـكن عندما تحداه هشام ثار زيد واصبح مناضلا فى سبيل الحق آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر • وكل فرق الزيدية تجمع على ضرورة القتال من اجـل الحق وعلى ضرورة الوقوف فى وجه ائمة الجــور وعلى ضرورة اقامة دولة الحق ، ولذا فهى تطلق على هذا القتال اسم الجهاد • كما انها تجمع على انه لاتجوز الصـــلاة خلف الحاكم الفـــاجر فهى لاتصح الا وراء الصـــالح •

واختلفت الزيدية فى الله هل هو شىء أم لا فذهبت فرقة منهما وهى تمثل الأغلبية الى أن البارى شىء ولكنه ليس مثل بقية الأشياء كما أنها لم تقل أنه ليس شيئا • وفى عصر زيد أثيرت مشكلة الذات الالهية والصفات وصيغت فى هذا التساؤل : هل الصفات غير الذات أم عين الذات ؟ وتمسك فريق من العلماء بفكرة أن الله تعالى متصف بكل ما اشتمل عليه القرآن من صفات فهو قادر ، عالم ، سميع ، بصير ، متكلم ، مريد وان كانت هذه الصفات غير الله • ومن هؤلاء المعتزلة وعلى رأسهم واصـــل بن عطاء الذى كان صديقا لزيد •

وقد ذهب زيد الى نفس رأى المعتزلة ربما تأثرا بفكرهم وربما تكون نفس الفكرة نبتت عند كل منهما فى نفس الوقت ٠

ونفى الامام زيد البداء لأن علم الله ازلى قديم ، وهذا العلم هو علم بعالم الغيب والشهادة ، وكذلك ارادة الله ازلية قديمة قدم ذاته ، وقد كتب الله فى لوحه المحفوظ كل ما سيقع لعباده ولا يمكن أن يحدث فيه تغيير لأى سبب من الأسباب ٠

واختلفت الزيدية فى قضية الايمان والكفر فانقسمت الى فرقتين ٠ ذهبت الاولى وهى تمثل موقف أوائل الزيدية الى أن الايمان ما هو الا المعرفة واجتناب ما جاء فيه الوعيد ، بينما ذهبت الثانية الى أن الايمان هو جميع الطاعات وليس ارتكاب كل ما جاء فيه الوعيد كفرا ، وتمثلت هذه الفرقة فى المتأخرين من الزيدية ٠

وللعقل عند الزيدية سلطان فى الشرع فهو أساس معرفة الأحكام الشرعية ٠ ودور العقل فى الشرع انما هو استخراج الأحكام من النصوص والاجتهاد فيما ورائها ، بل والحكم اذا لم يكن ثمة نص ٠ ومن الجلى انهم متأثرون فى هذا بالمعتزلة ، وأنهم قالوا بالقياس اى الاستنباط العقلى وهو ما رفضه الامامية من قبل ٠ وللعقل أيضا دور آخر عند الزيدية وهو اثبات الرسالة المحمدية ومعرفة الله تعالى ، وهم فى هذا يتفقون مع الحنفية والماتريدية ٠وبهذا يكون الزيدية قد تركوا باب الاجتهاد مفتوحا على مصرعيه ٠ ومن أبرز ما توصل اليه الزيدية بفضل الاجتهاد فى مجال الشرع رفضهم لزواج المتعة الذى قالت به الامامية ٠

ويمتاز المذهب الزيدى باحتوائه على كثرة من الآراء المتنوعة المصادر ، ويرجع هذا بالطبع لسماحته ، تلك السماحة التى ساعدت على انتشاره فى البلاد الاسلامية المختلفة ٠ وبفضل هذه السماحة استطاع المذهب الزيدى أن ينمو وأن يتطور فكريا وعقائديا فلم يجمد ابدا كما حدث لسائر مذاهب الشيعة ٠ وتمثلت هذه السماحة فى أمور اربعة أولها فتح باب الاجتهاد ، وثانيها الانفتاح على المذاهب الأخرى ، وثالثها وجود المذهب فى عدة أماكن مختلفة متباعدة لكل منها بيئتها الفكرية جعله

يتكيف مع ظروف المكان ، ورابعها ظهور ائمة مجتهدين مشهورين فى كل عصر من العصور واخذهم بالاجتهاد مما جعلهم يسيرون بالمذهب خطوات جديدة نحو التجديد ٠

٦ ـ فـرق الزيدية :

يذهب بعض المؤرخين الى أن فـرق الزيدية ثلاثة هى الجـارودية والسليمانية والصالحية البترية بينما يذهب البعض الآخـــر وهم الاقل عددا الى ان هذه الفرق الثلاث هى أشهر فرق الزيدية التى يبلغ عـددها ثمان فرق وان كان فى الامكان ارجاع الخمس الأخرى الى هذه الفـرق الثلاث ٠ أما الجارودية فهم أصحاب أبى الجارود زيد بن المنذر العبـدى الذى أطلق عليه محمد الباقر لقب سرحوب ـ وهـــو شيطان أعمى يسكن البحـر ـ والذى ذهب الى أن النبى نص على امامة على بالوصف دون التسمية وهو فى هذا يتفق مع زيد تمام الاتفاق ، ولكنه اختلف مع مؤسس المذهب عندما كفر الصحابة لتركهم بيعة على بينما لزيد رأى أخر كما سبق أن بيننا ٠ واتفقت الجارودية مع أبى حنيفة وأكثر المرجئـة وسـائر فرق الشيعة فى أن الامامة لا تجوز الا فى قريش نظرا لقول النبى « الامامة فى قريش » ٠ وذهبت الى أن الحسن كان هو الامام بعـد على بن أبى طالب وبعده كان الحسين هو الامام ٠ ولكن الجارودية انقسمت من حيث تسلسل الأئمة الى فرقتين : فرقة قالت ان عليا نص على امامة ابنـه الحسين ثم نص هذا على امامة أخيه الحسين من بعده ثم صارت الامامة بعـــدهما شورى فى نسلهما فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا الى دينه وكان عالما ورعا فهو الامام ٠ وزعمت الفرقة الثانية أن النبى هو الذى نص على امامة الحسن بعـد على وعلى امامة الحسين بعد ذلك ٠ واختلفت الجارودية بالنسبة لمسألة المهدى المنتظر فمنهم من تمسك بمقالة زيد بأن كل من شهر سيفه ودعا الى دينه من نسل الحسن والحسين فهو الامام ، بينما أخـذ بعضهم بفكرة المهدى المنتظر التى رفضها زيد كما بيننا ، ولذا فهم ينتظرون محمد بن عبد الله بن الحسن وهو الملقب بالنفس الزكيـة ولا يصدقون أنه قتل ويزعمون أنه هو المهدى المنتظر الذى اذا خرج ملك الأرض ؛ ومنهم من ينتظر محمد ابن القاسم صاحب الطالقان ولا يصدقون موته ، ومنهم من ينتظر يحيى بن عمير صاحب الكوفة والذى خرج بها فلا يصدقون قتله ٠

اما السليمانية أو الجريرية فهم اتباع سليمان بن جرير الزيدى ، وقد انضم ابن جرير وصحبه الى الزيدية لما لمسوه من اعتقادات خطيرة مسرفة فى الخيال والغيبية عند الشيعة الامامية • ومحور عقيدة السليمانية ان الامامة شورى بين الخلق وانها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين وهم بشكل عام اقل انحرافا من الجارودية واقرب فى ارائهم الى زيد وان خالفوه فى بعض ما قال ، وهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل كما ذهب زيد كما يثبتون مثله امامة الشيخين وان اختلفوا معه فى قولهم ان الأمة اخطأت فى اختيارها لهما وان كان هذا الخطأ خطأ اجتهاديا وليس فسقا او ضلالا • وتكفر السليمانية عثمان لأعماله وهو خليفة فحسب كما تكفر عائشة وطلحة والزبير الذين حاربوا عليا • وكما فعل زيد من قبل رفضت هذه الفرقة قولين اصوليين من اقوال الرافضة الامامية وهما القول بالبداء والتقية اذ اعتبرتهما ضلالا واضحا • والبداء التى سبق لنا تنسيبها بدعة ابتدعها المختار الثقفى اما التقية فمن شانها التضليل فقد يظهر القائلون بها ما يتفق مع الظالمين وهو غير حق ، فاذا اقيم الدليل على بطلانه تراجعوا قائلين انما قلناه تقية • والسليمانية يكفرون الجارودية لأخذها بتكفير ابى بكر وعمر ، كما ان هذه بدورها تكفر السليمانية لتركها تكفر الشيخين • والامامة عند السليمانية من مصالح الدين التى يمكن تحصيلها بالعقل لا بالنص• وما اضافة السليمانية الى مبدأ امكان اختيار المفضول اماما مع وجود الأفضل هو جعلهم له مبدأ عاما وليس مبدأ مشروطا لايطبق الا على نسل على وفاطمة كما ذهب زيد •

أما البترية فهم اتباع كثير النوى (أو النواء) الملقب بالأبتر ، وقد وافقة على مذهبه الحسن بن صالح بن حى المذانى ولذا يطلق على هذه الفرقة لقب الصالحية فضلا عن البترية • وقد وافق البترية السليمانية فى دعواهم بالنسبة لمسألة الامامة ولكنهم كانوا اكثر اعتدالا فلم يحكموا بكفر عثمان ، وانما توقفوا فى امره ، اذ ان ماضيه يجعله من اهل الجنة كما بشره الرسول (ص) فلقد كانت له فى نصره الاسلام مشاركة ، اما فى مدة خلافته فقد ولى الظالمين

من بنى أمية وبنى مروان واستبد وترك الشورى • وكل هذا لايتفق مع اسس الصحابة مما يوقع المتامل لأمره فى حيرة ، ولذلك لابد من التوقف بصدده وتوكيل امره الى أحكم الحاكمين • وذهب البترية الى أن عليا كان افضل الخلق بعد رسول الله (ص) وأولاهم بالامامة ولكنه سلم باختيار الصحابة لغيره راضيا ولذا فقد رضوا بما رضى هو به • أما اذا كان رفض لما جازت امامة الشيخين ومعنى هذا أن البترية وضعوا شرطا جديدا للمبدأ الزيدى الذى يجوز اختيار المفضول وترك الافضل ، وهو رضاء الافضل ، بينما اكتفى زيد صاحب المبدأ بالقول أن المعيار فى هذا الأمر هو مصلحة المسلمين • وقد تمسك البترية برفض مفهوم المهدى المنتظر وعقيدة الرجعة كما فعل الامام زيد كما اتفقوا مع امامهم فى أن من خرج من أبناء الحسن أو الحسين ، وكان عالما زاهدا شجاعا فهو الامام ، وجوزوا أن يكون ثمة امامان فى أن واحد فى قطرين مختلفين الا انهم اختلفوا مع زيد بذهابهم الى أن كليهما يكون مصيبا حتى وان رضى احدهما باستحلال دم الآخر • ويبدو أن هذا الغلو الذى طرأ على مذهبهم مرجعه الى الفاصل الزمانى بينهم وبين الإمام زيد منا جعل فقهه يصل اليهم محرفا • ويكفر البترية والسليمانية الجارودية لاقرارها بتكفير أبى بكر وعمر بينما تكفرهما الجارودية بدورها لتركهما تكفير أبى بكر وعمر • وبشكل عام اخذ البترية بفقه أبى حنيفة الذى كان سائدا فى عصرهم فى العراق وفى بلاد ما وراء النهر •

وبالاضافة الى هذه الفرق الثلاث الشهيرة هنـاك فرقة النعيمية أصحاب نعيم بن اليمان الكوفى التى يطلق عليها أحيانا اسم اليمانية نسبة للقب صاحبها • وقد زعم نعيم أن عليـا كان مستحقا للامامة وانه كان كان أفضل الناس بعد الرسول (ص) ، ولذلك أخطأت الأمة بتولية أبى بكر وعمر خطأ بينا ، وان كان هذا ليس اثما وقد تبرأ نعيم من عثمان • أما فرقة اليعقوبية فهى تنسب ليعقوب بن على الكوفى وتقول بولاية أبى بكر وعمر ، وان كانت لا تكفر من ينكر ولايتهما • وهى تنكر عقيدة الرجعة وفكرة المهدى المنتظر • أما المرئية فهى تتبرأ من أبى بكر وعمر ولاتنكر رجعة الاموات قبل يوم القيامة وبمعنى آخر تقول بفكرة المهدى المنتظر •

وهناك اخيرا الابرقية والعقبية • الا أن هذه الفرق جميعها لم تصمد عبر التاريخ اذ لم تخرج علماء ينتسبون اليهـــا بل أن مؤسسيها انفسهم لم يكونوا ائمة •

٧ ـ علاقة الزيدية بالمعتزلة :

الزيدية هى أكثر الفرق ارتباطا بالمعتزلة • والدليل على ذلك انه عند أفول نجم الاعتزال احتفظت الزيدية بمؤلفات المعتزلة فحافظت بذلك على تراثهم • وثمة رأى شائع كان زيد بمقتضاه من رواد واصل بن عطاء وقد أخذ عنه أصول الكلام • ومن الجلى ـ كما عسانى قد أوضحت فى عرضى للأصول الزيدية ـ أن الزيدية أخذت أربعة أصـول من أصـول المعتزلة الخمسة الشهيرة ، واستبدلت بالأصـل الخامس الا وهو المنزلة بين المنزلتين مبحث الامامة • وكما تأثرت الزيدية بالمعتزلة تأثرت هـــذه بدورها بالزيدية ، فقـد مال معتزلة بغـداد الى التشيع حتى اطلق عليهم اسم « متشيعة المعتزلة » • وتجلى تشيعهم هذا فى عدة مواقف منهـــا تفضيلهم لعلى على أبى بكر • وتبرأهم من معاوية وعمـــرو بن العاص ، وتصورهم للامامة تصورا قريبا لتصور الزيدية • ولعل أوضح دليل على قوة التيار الزيدى بين المعتزلة أن القاضى عبد الجبار صاحب الموسوعة الاعتزالية الشهيرة « المغنى » حاول أن ينقى الاعتزال من التشيع الزيدى فاذا باغلب تلاميذه يميلون للزيديين • ومن هؤلاء القزوينى وأبو القاسم اسماعيل بن أحمد البستى • ولقـد لعبت الزيدية دورا جليـلا بالنسبة للتراث الاعتزالى اذ حافظت عليه بعـد أن كاد يقضى عليـــه على أيدى العوام الذين كانوا يحرقون المصنفات الاعتزالية • تسربت هذه المصنفات الى زيدية اليمن فاحتفظوا بها واقبلوا عليها •

وعلى النقيض من هذا التأثير المتبـادل بين الزيدية والمعتزلة وجد تياران منفصلان عن هذا التأثير • أولهما عارض المعتزلة صراحة والثانى انفتح على أهل السنة • ومن أعلام التيار الاول حميـــدان بن يحيى بن حميدان فى القرن السابع الهجرى الذى صاغ خلافه مع الزيدية فى قوله « وافقناهم (يقصد المعتزلة) فى الأصـــول ولم يوافقنا فى الامامة فعلام

الاتفاق ؟ » وكان محور الخلاف بين أصحاب هذا الاتجاه وبين الزيدية هو الامامة بالقطع • فالامامة عند الزيدية اساسها الخروج الأمر الذى لا يوافق عليه اغلب المعتزلة الذين يرون الامامة بالعقد والاختيار فحسب• وكان على رأس التيار الثانى الأميل الى السنة محمد بن ابراهيم بن الوزير (٧٧٥ ـ ٨٤٠هـ)••

خاتمـة :

أرسى الامام زيد اصـول فن السياسة الاسلامية عندما جعل معيار اختيار الامام هو مصلحة الجماعة الاسلامية مبتعدا تماما عن السياسة اللاهوتية التى اخذ بها سائر الشيعة متأثرين بمفاهيم دخيلة على الاسلام ومتسربة اليه من التراث الفارسى بشكل خاص • وقد تمسك زيد بروح الاسلام الأولى فتميز عن سائر الشيعة ، واقترب من اهل السنة • ولقد تمسكت كل فرق الشيعة باجلالها لعلى واستغلت حقه فى الخلافة قبل غيره فى دعوتها ،اما زيد فكان الوحيد من بين ائمة الشيعة الذى حاول أن يصيغ مذهبا يتفق مع سيرة على وسنته • وربما امكنا القول أن الزيدية محاولة جريئة لتحطيم ذلك الحاجز القوى الذى زاد الشيعة زمن الباقر اقامته بينهم وبين سائر الفرق الاسلامية لاسيما اهل السنة ، أى هى محاولة لايجاد حل وسط أو هى بمثابة الجسر بين أهل السنة وبين عقائد الشيعة • وفى رأى أن محاولة التقريب بين السنة والشيعة تلك المحاولة التى ينادى بهـا بعض العلماء فى عصرنا من الأجدى والأيسر أن تبدأ عند الزيدية التى تمسكت دائما بفقه وفكر وسنة آل البيت • ولعل هذا التقارب بين الفريقين هو الذى جعل بعض المصلحين يفكرون زمن الامامة فى اليمن فى الخمسينات من هذا القرن أن يجعلوا من الامام البدر آخر ائمة اليمن الزيديين هو خليفة المسلمين كافة سواء كانوا سنة أم شيعة •

المراجـــع :

- أبو زهرة (محمد) : الامام زيد - حياته وعصره - اراؤه وفقهه - دار الفكر العربى ١٩٥٩ .

- ابن خلدون : المقدمة - المطبعة الادبية - بيروت ١٨٨٦ .

- الأشعرى (أبو الحسن) : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين -جزءان تحقيق ريتر - استانبول ١٩٢٩ - ١٩٣٠ .

- الا يجيى (عبد الرحمن بن احمد) : المواقف - قام بطبعة ونشره ابراهيم الدسوقى عطية - احمد محمد الحنبولى - القاهرة ١٣٥٧هـ .

- بروكلمان (كارل) : تاريخ الأدب العربى - ترجمة د. عبد الحليم النجار - الجزء الثانى - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٢ .

- الشهرستانى : الملل والنحل .

- صبحى (أحمد محمود) : الزيدية : الطبعة الثانية الزهراء للاعلام العربى ١٩٨٤ .

Encyclopédie de l'Islam, tome IV, Zaïdiya.

Gardet (L) : Connaître l'Islam - Série "Je sais - Je crois" - Paris 1958.

Goldziher (I) : Le dogme et la loi de l'Islam-Traduction de Félix Arin-Paul Geuthner 1920.

الفصل الثالث

النصـــــــــيرية

١ ـ تاريخ النصيرية :

غالت كثير من فـــرق الشيعة فى اخلاصها المتعصب لعلى بن ابى طالب ولسلالته وهى تلك التى يصنفها المؤرخون العرب تحت اسم الغلاة ٠ ولقد ذهبت طائفة منها الى ان عليا له نفس مرتبة محمد بل الى انه اسمى منه والى ان جبريل ـ سواء فعل ذلك عن قصد او بدونه ـ اوحى بالقرآن لمحمد بدلا من على وذهب بعضها الى ان الطبيعة الالهية حلت فى على وفى الائمة من بعده ، ومن هذه الفرق الاسماعيلية التى مهدت لظهور فرقة الدروز والخوجة او الاسماعيلية الجديدة ٠ الا انه ما من فرقة من فرق الغـلاة هذه فعلت ما فعلته فرقة النصيرية التى سارت فى طريق المغالاة الى اقصاه ٠ وحتى عهد ليس ببعيد كنا لا نعرف عن النصيرية الا اقـــل القليل وذلك من خلال كتب اعدائهم وخاصة الدروز ، ومن خلال فتوة ابن تيمية ، او من خلال ما نقله عنهم الرحالة الذين زاروا بلادهم فنقلوا عاداتهم وتقاليدهم وصوروا بعض اعيادهم ومن هؤلاء ابن بطوطة ٠ ولذا فدراسة هذه الفرقة تاريخيا وعقائديا ، خاصة وانها من الفرق الباطنية التى تحتفظ باسرار عقائدها ، تمثل صعوبة بالغة لندرة المصادر التى يمكن الاعتماد عليهـــا ٠

ولعل اول المشاكل التى تواجه الباحث الذى يحاول دراسة هـــذه الفرقة هى اصـــل اسمها ٠ وكان بعض الباحثين وعلى راسهم العـــلامة ارنست رنيان المستشرق الشهير قد ذهبوا فى القرن الماضى الى ان الاصل اللغوى للنصيرية يرجع الى لفظة نصرانى ، فالنصيرى وجمعها نصيرية هى تصغير لنصرانى وجمعها نصارى ٠ ويقدم هؤلاء الباحثون دليلا على فكرتهم هـــذه يتمثل فى ان كثير من الشعائر النصيرية ومن اعيادها بل

وبعض مفاهيمها الدينية شبيهة بمثيلاتها فى المسيحية ٠الا أن هذا التفسير لم يسد طويلا فى الاوساط العلميــــة اذ سرعان ما تبين انه ليس صحيحا لغويا أن نصيرى هو تصغير لنصرانى هذا من جهة ، ومن جهــة اخرى فان النصيرية كانوا يحملون هــذا الاسم بالفعل قبــل أن تتسرب اليهم العناصر المسيحية ٠ وذهب البعض الأخر من الباحثين الى أن أصل هــذا الاسم مشتق من نصارية وهى قرية بالقرب من الكوفة ولد بها الخصيبى مؤسس هذه الفرقة ؛ الا أن دراسة النصوص النصيرية ، ودراسة تاريخهم دراسة دقيقــة أظهرت خطأ هــذا الرأى ، فالخصيبى ليس هــــو مؤسس النصيرية بل مكمل عقيدتها التى أسسها محمد بن نصير ٠ وأكــد بعض العلماء أن نصيرية انما هى نسبة الى نصير وهو شهيد شيعى أسطورى تختلف حوله الآراء فتدعى فرقة العلى الاهى أنه ابن لعلى بن أبى طالب ، بينما تدعى بعض فرق الشيعة الأخرى انه كان عبدا لعلى وعتقه ٠ وادعى فريق ثالث إنه كان وزيرا لمعاوية ابن ابى سفيان ٠ وثمــة تسمية خاطئة أطلقها على النصيرية الرحالة الغربيون الذين زاروا تلك المنطقة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ونعنى بها انصارية وهى نسبة الى الأنصــار أى انصار محمد ٠ ومن الجلى أن الامر قد اختلط على هؤلاء فلا يعقــل ان يكون النصيرية وهذا حال عقيدتهم ، هم انصار الرسول محمد (ص) أما التفسير الصحيح والذى يكاد يجمع عليه معظم الباحثين المتخصصين فى دراسة هذه الفرقة مثل دوسو ولامنز فهو ان هذه الفرقة تنسب الى محمــد بن نصير العبدى البكرى النميــرى أول متكلمى فــرقة النصيرية ومؤسسها عقائديا ٠ ومما يؤكد هذا التفسير أن النصيرية كان يطلق عليهم لقب النميرية كما يقول لنا النوبختى فى كتابه عن الفرق الشيعية ، وكما يقول لنا الاشعرى فى مقالات الاسلاميين ٠ وكان بن نصير هذا هو اخــر الاتباع المخلصين للامام الحادى عشر عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية ونعنى به حسن العسكرى الذى توفى فى عام ٨٧٣م٠ والغريب أن الاسطورة النصيرية تجعل ابن نصير يعيش فى القرن التاسع الميــلادى وتجعل أباه وزيرا لمعاوية ! ولقد لف الغموض طويلا شخصية محمد بن نصير الحقيقية وكان اسمه مجهولا لغير النصيرية حتى القرن التاسع عشر ٠ فالشهرستانى مثلا وهو صاحب اقدم مقالة من عقائد النصيرية ، يبــدو وكأنه يجهل وجوده تماما فيذكر فرقته دون ذكره ، وهــذا أمر عجيب لايتفق ودقته

البالغة فى تحرى الحقائق · ولعل سليمان افندى ــ وكان احد النصيرية ثم تحول الى المسيحية فى القرن التاسع عشر ، والف كتابا عن العقيدة النصيرية هو « الباكورة » الذى يعد أوثق المصادر عن تلك الفرقة ــ هو أول من كشف لنا النقاب عن حقيقة هذه الشخصية الغامضة التى يؤكد هو وجودها التاريخى بالفعل · لقد جاء ذكر ابن نصير في السورتين الاولى والرابعة من كتاب النصيرية المقدس ، اى من المجموع ، على ان مؤسس الفرقة تحت أسم أبى شهيب محمد بن نصير العبدى البارى النميرى · ويبدو لنا منطقيا أن يكون ابن نصير هذا هو الذى تنسب اليه هذه الفرقة خاصة وانه جرت العادة بالنسبة لسائر فرق الشيعة أن تتخذ اسم مؤسسها اسما لها · وبالرغم ان اسم البكرى وهو لقب ابن نصير ، اسم عربى فان ثمة باحثين يعتقدون انه من اصل فارسى مثله مثل سائر مؤسسى فرق الشيعة ·

واذا كان اسم النصيرية وحقيقة مؤسسها يمثلان مشكلة فان الأصل الانثروبولوجى لهذه الفرقة يمثل مشكلة اخرى بالنسبة للباحثين الذين ينقسمون بصددها ، فيذهب فريق منهم الى انها نتاج التزاوج بين الاهالى الذين كانوا يعيشون فى تلك المنطقة وبين الفرنجة الصليبيين فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر والحجة التى يستند اليها هذا الفريق هى الألوان الفاتحة التى يتميز بها النصيرية سواء كان ذلك فى البشرة أو فى العيون أو فى الشعر · الا أن الدراسات الانثروبولوجية الحديثة اثبتت أن النصيرية اقرب الى الايرانيين منهم الى الغربيين أو العرب · ويذهب فريق ثالث الى أن النصيرية من أصل فارسى بينما يؤكد فريق آخر انهم من الجنس الفينيقى الذى اختلطت به كثير من الاجناس وخاصة الجنس الفارسى ·

وليس لدينا حتى الآن معلومات يقينية عن اصل النصيرية فيما قبل المسيحية فلايعرف شيئا عنهم قبل العصر الرومانى اذ يختلط تاريخهم فى تلك الحقبة بتاريخ الفينيقيين ولقد احتمى الشعب الذى أصبح فيما بعد يطلق عليه النصيرية فى القرن الاول من المسيحية فى الجبال الشمالية من سوريا مما حقق له نوعا من الاستقلال اتاح له المحافظة الى حد ما

على عقيدته من التأثير المسيحى · ويقال انهم كانوا يساعدون أعداء المسيحية من الوثنيين فى القرن الرابع الميلادى ، الا أن مجاورة المسيحيين جعلت بعض عقائد هؤلاء تتسرب الى النصــرية · وعندما فتح المسلمون هذه المنطقة اختفى الأهالى مرة اخرى بالجبال حيث عاشوا فى فقر ولكن فى حرية اتاحت لهم ممارسة عبادتهم القديمة · وكما أصبحت لبنان مأوى للمارونية أصبح جبل السماك ـ كما يسمى الجغرافيون العـرب جبـل النصيرية ـ مأوى للنصيرية · اما ابن نصير مؤسس النصيرية فقد ظهر فى القرن التاسع وحور كثيراً فى عقيدة الشيعة التى كان يؤمن بها سلفه محمد بن جندب وفى هذه المرحلة لم تكن هذه العقيدة قـد تخطت حدود الفرات ، ولم يحدث هذا الا على يدى أبى عبد الله ابن حمدان الخصيبى ، الذى يعد بحق مكمل العقيدة النصيرية او مؤسسها الثانى والذى ألف الكثير من المؤلفات الدينية ونظم العديد من القصائد التى مايزال النصيرية يترنمون بها فى جبل السماك ، والذى ينسب له النصيرية ايضا فيطلق عليهم احيانا اسم الخصيبية · ظهر فى الكوفة فى القرن التاسع الميلادى بدعوة هى تطوير للنصيرية فالتف حوله عدد كبير من الاهالى اختار ما بينهم اثنى عشر شخصا جعلهم له بمثابة الحواريين من المسيح · ولمــا بلغ امره حاكم الكوفة سجنه ولكنه استطاع مدعيا أن المسـيح هو الذى خلصه من سجنه ! · ويبدو أنه كان من أصل فارسى · وقد ادخل النصيرية سوريا مما جعلها تدخل مرحلة جديدة : اذ كانت هذه الفرقة بالرغم مما بها من افكار مغالية ذات أصل شيعى تعد الى حـد ما من الفرق الاسلامية ولكنها بدخولها سوريا انفصلت تماما عن الاسلام اذ تاثرت بالمناخ العام السائد فى سـوريا وقتذاك ، والذى يشجع على الانفصال فى الاســلام · وسبب هذه النزعة الانفصالية مر نقل عاصمة الخلافة الاسلامية من دمشق الى الى بغداد على اثر انهيار الخلافة الاموية وقيام الخلافة العباسية ·

وفى بداية القرن العاشر الميـــلادى ، وعلى وجه التحـديد فى ٢١ يوليو ٩٠٣ خارت قوات القرامطة فى معركة بالقرب من حماة ولم تستطع فلول هذه الحملة أن تعود للعراق عبر الصحراء فلجأت الى النصيرية واندمجتبها مما جعل هذه الأخيـرة تتاثر بالعقيدة الباطنية وهى عقيدة

القرامطة • وفى القرن الحادى عشر كان الاندماج بين العقيدة المسيحية والاســلام والباطنية ، ذلك الاندماج الذى شـــوه كلا من هذه العقائد انتج مذهبا دينيا لاينمى لا للاسلام ولا للمسيحية ، خاصة وقد اختلطت به بعض المعطيات الغنوصية والمانوية وبقايا العقائد الفينيقية القديمة مثـل عبادة الطبيعة • ويمكننا القول ان العقيدة النصيرية تبلورت تماما فى ذلك الحين وهو ما يبدو لنا من كتاب « مجموع الاعياد » الذى وضعه أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبرانى حوالى عام ١٠٠٠م • وفى هذا الكتاب تتضح لنا عناصر النصيرية الاساسية أى التمييز بين الأقانيم الالهية الثلاثة : المعنى والاســم والباب •

واكتمل بناء النصيرية تماما فى القـــرن الخامس عشر فأصبحت بالصورة التى هى عليها حاليا • ولعل هــذا هو ما دفع ابن تيمية الى وضع فتواه ضدهم فحرم فيما الزواج من النصيرية ، واحل فيما دماءهم ومستلكاتهم ، ودعى فيها الى الجهاد ضدهم واتخاذ التدابير القاسية التى من شانها القضـــاء عليهم • وبعد ظهـــور هذه الفتـــوة بقليل زار الرحالة ابن بطوطة بلاد النصيرية وجاء عنده إن الملك الظاهر قد أجبـر النصيرية على بنــاء المساجد ــ وهو المثــال الذى احتزاه بعد ذلك بست قرون السلطان التركى عبد الحميد ــ ولقــد اطاع النصيرية الملك الظاهر ولكنهم سرعان ما حولوا هذه المساجد الى حظائر للماشية ! وعند ما جاء الغزو العثمانى لم يغير شيئا من وضعهم • اما الاحتلال المصرى على يد ابراهيم باشا فكان قاضيا عليهم اذ دخــل ابراهيم باشا جبلهم ، ونزع الســلاح منهم ، ودمــر كل قلاعهم • وبعـــد انسحاب المصريين اصبح النصيرية تحت حكم زعمائهم القوميين ، وكان آخرهم اسماعيل خيرى بك الذى استغلهم اقتصاديا الى أبعد حـد فاضطر الاتراك الى التدخل عــام ١٨٥٨ الى قتله •ومنذ ذلك التاريخ والجبل مقسم الى قائمقامات أو مقاطعات وفى ظل الحكم العثمانى تدهورت أحــوال النصيرية الاقتصادية تدهورا كبيرا نتيجة لتركهم زراعة العنب والدخان وهما مصدرا دخلهم الاساسى • وفى نهاية القرن الماضى جــاء الى النصيرية أمر من اسطنبول ليصبحوا جميعا من المسلمين • ولقد اضطر زعماؤهم الى الخضوع لهذا الأمـر

الذى اصدره الباب العالى : السلطان عبد الحميد فبنيت المساجد لاظهار حسن النية ، وان استمروا يمارسون سرا شعائر عقيدتهم • وكان معظم السكان فى جبل النصيرية من الفلاحين الفقراء والرعاة التابعين اقتصاديا واجتماعيا ببعض العائلات الاقطاعية التى تمتلك الاراضى • وحاول بعض المفكرين الشبان من النصيرية تكوين حكومة مستقلة واستطاعوا بالفعل انتزاع نوع من الاستقلال الذاتى الاقتصادى والادارى من الحكومة العثمانية • وعلى اثر سقوط الدولة العثمانية اعتبر الانتداب الفرنسى الذى سيطر على المنطقة ابتداء من عام ١٩٢٠ الاراضى النصيرية دولة مستقلة هى دولة العلويين واصبح هذا هو اسمها ، وجعلوا عاصمتها هى اللاذقية • وفى عام ١٩٣٦ اصبحت هذه الدولة محافظة سوريا ويمثلها فى البرلمان السورى ستة عشر نائبا عشرة منهم علويين وستة يمثلون الديانات الاخرى ولقد ذابت هذه المحافظة تماما فى سوريا عندما اعلنت فيها الجمهورية عام ١٩٤٥ ولم يعد النصيرية شعبا مستقلا بل اصبحوا عقيدة فحسب •

وفى آخر احصاء لهم عام ١٩٥٩ كان عددهم ثلاثمائة الف نسمة وان كنا نشك فى صحة هذا العدد ، ونعتبره لايصور الحقيقة التى لابد وانها تفوق هذا العدد كثيرا ، فالناس فى هذه المنطقة لايستجيبون للتعداد بسهولة • وهم يتركزون خاصة فى جبل لبنان او جبل النصيرية كما يوجد فى حماة وحمص وحلب وانطاكية وطرابلس واللاذقية بل وفى دمشق ذاتها • ومازال النصيرية يحتفظون حتى اليوم بأساليب حياة العصور الوسطى وما زالت ثقافتهم بدائية وذلك تعجز الهمم فى قراهم • ولاشتغالهم اساسا بالزراعة يطلق عليهم ايضا لقب الفلاحين • وهناك اعداد منهم تعيش فى شمال نابلس وفى كردستان وفى ايران على ضفاف الفرات •

٢ ــ العقيدة النصرية :

لا تقدم لنا المؤلفات التى تؤرخ للفرق الكثير من الحقائق عن النصيرية ، فالايجى فى مواقفه اعتبر النصيرية والاسحاقية من الشيعة وذهب الى انهم قالوا بأن الله حل فى على ، اما البغدادى فى « الفرق بين

الفرق » فلا يذكر عنهم الا أنهم اتباع رجل اسمه النميرى كان من اتباع الشريعى وكان يدعى حلول الله فيه ، وهو نفس ما ذهب اليه الأشعرى فى مقالات الاسلاميين ·

ومما لا يمكن انكاره ان هذه العقيدة محورها هو تقديس على أى انها شيعية ، وكما هو معروف انقسم المسلمون على اثر وفاة الرسـول بصدد مسألة الخلافة ، فالتفت الاغلبية حول ابى بكر الصـديق تؤيده ، اما الأقلية فأيدت حق على بن أبى طالب زوج فاطمة ابنة الرسـول فى الخلافة · وذهب هؤلاء وهم نواة الشيعة الى ان هذه الخلافة حق لأبنـاء على من بعده · ووجدت قضـية العلويين أرضا خصبة فى فارس التى ما قبلت السيطرة الاسلامية العربية الا ظاهريا وان ظلت تأمل فى الانتقام يوما من « الغـزاة » · وكان تأييد الفرس لقضـية العلويين ضربا من من المعارضة الملتوية للحكام العرب ولذا سرعان ما جعلوا لعلى ولنسله من بعده حقا الاهيا فى الحكم ، وهذه فكـرة عزيزة عليهم فى تراثهم · اصبح على ونسله أى الأئمة هم الصورة الجديدة التى واصل الفـرس من خلالها عبادة مقدساتهم القديمة وكان المصدر الأول لكل فرق الشيعة المغالية هو عبد الله بن سبأ أو ابن الأسود اليهودى الأصل والذى اله عليا حى أنه يقول له « انت انت » اى انت اللـه · وقد اضـطر على لقتله لخروجه على الاسلام · وبعد السبأية أخذت فرق اخرى بعقيدة تألية على طبقتها على الأئمة ، ولكن أعنفها مغالاة كانت النصيرية ·

وعند النصيرية كثير من العقائد ذات الأصل الفارسى التى لا يمكن أن تكون قد نبتت على أرض سوريا مثل كراهية خلفاء الرسول الثلاثة الأول وخاصة عمر الذى فتح فارس ، وتقديس كل الشخصيات التى تنتمى ولو من بعيد لفارس مثل ازدشير ، والاحتفال بالاعياد الفارسية مثل عيد النيروز والمهرجان ، كما ان سـلمان الفارسى الذى يمثل الباب فى عقيدته من أصل فارسى · وبالرغم من هـذا اعتبر المؤرخون القدامى ومنهم الشهرستانى هذه الفرقة من الشيعة ·

(١) الثالوث والتجسيد :

وأول قائد النصيرية هو الأخذ بثالوث الهى خالد يتكون من مبدأ اساسى هو المعنى ومن اقنومين يفيضان مباشرة عنه هما الاسم والباب والمعنى هو الالوهية أو الوجود الأعلى وهو النور ، أو هو الجوهر الألهى نفسه • ويطلق على الاسم أيضا الحجاب ، وهو التجلى الخارجى أو الظهور العلنى للمعنى أما الباب فهو الذى يقود للمعنى أى انه الذى يسهل الوصول للمعنى الخفى أى الى اسرار الدين ، فالنصيرية ديانة باطنية • ولقد تجسدت هذه العناصر الثلاثة للثالوث فى أجساد انسانية فى كل دورة من الدورات السبع التى تكون تاريخ العالم • وفكرة الدورات أو الاطوار السبعة هذه فكرة اسماعيلية سنعود اليها بعد قليل • وآخر تجليات الثالوث عندهم كانت وقت الهجرة وكانت فى على ومحمد وسلمان الفارسى • ولقد بشر سلمان بعلى ولكن محمدا فيما يذهبون هو الذى اخذ الرسالة • أما سلمان هذا فأحد صحابته محمد الغامضين • وكل فرق الشيعة تجعله ما أهم انصار على •

وبالرغم من أن عناصر الثالوث الالهى لا تنفصل بعضها عن البعض الآخر لأنها تكون وحدة الاهية فان الاسم والباب لدى النصيرية ليسا على قدم المساواة مع لى ، فهما فيضان للالوهية أى لعلى • أى أن عليا هو الذى خلق محمدا وهذا بدوره خلق سلمان من نور نوره • وفكرة أسبقية على فى الوجود وفى القيمة هى التى تجعل النصيرية يذهبون الى أنهم موحدون • ويشار الى هذا الثالوث «بعمس» وهو المكون من الحروف عين وميم وسين وهى الحروف الأولى لأسماء على ومحمد وسلمان • وعمس هو أعظم الاسرار الذى لا يكشف عنه الا للمستجيبين فى جلسات الاعداد لاعتناق النصيرية • ولم يتبين الشهرستانى ان النصيرية جعلوا لعلى المرتبة الأولى ولمحمد المرتبة الثانية فذهب الى أن النصيرية اعتقدوا بتالية محمد وعلى على قدم المساواة وبأن محمد اختار عليا خليفة له فى الالوهية •

وعلى عند النصيرية هو المعنى كما أن عيسى عند المسيحيين هو الكلمة أو اللوغوس ولهذا يطلق على عقيدتهم اسم المعنوية • وهم يؤكدون

قول محمد يوم غدير « من ان ولية على معناه » • على هو الاهم فى السماء وامامهم على الأرض ! والله عندهم لم يلد ولم يولد وهذا تطبيق لمفهوم الله القــرآنى • والله عندهم واحد وخالد ودائم الوجود كما جاء فى المجموع فى السورة الرابعة عشرة • وجوهره هو النور ومنه تســتمد الكواكب نورها • وبالرغم من تنزهه عن الصـــغائر فهو يفلق الحجــر ويزحزح البحار ويتحكم فى كل الامور كما جاء فى السورة الثامنة فى المجموع • وهو خفى بحكم جوهره الالهى • وهو لا ياكل ولا يشرب وليست له علاقاقات جنسية • وهو خالق المخلوقات • وصحيح ان كلمة الله تفترض موضوعا للتأويل الا ان قيمة الاسم لا تعادل قيمة المسمى • « فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا ومن عبدا الاســم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد الخالص » • هذا التفسير ينسب للامام جعفر الصادق عندما سئل عن اسماء الله ، ويأخذ به النصيرية • ويبدو أن النصيرية عجزوا عن الارتقاء الى مستوى التأملات الفلسفية ولذا قالوا بمفهوم الله الواحد لا بمفهوم الالوهيــة المنزهة عن اية صفات •

وأول فيض لله هو الاسم ، والاســم هو الناطق وهو النبى محمد الذى قدم المعنى أى الارادة الالهية • أما ســلمان الفارسى وهو البــاب فقد خلقه محمد ، والباب هو المكلف بالدعوة • وقد جاء عنه فى كتاب المجموع فى الســورة الخامسة : « أما ســلمان فهو البـــاب الناطق والشيخ الناطق الذى لا يصل اليه الا به ولا يدخل اليه الا منه ـ متصل غير منفصل» • ولم نستطع تبين سبب اقحام سلمان الفارسى فى هذا الثالوث الالهى الا اذا كان لكونه فارسيا وصديقا لعلى • ولقد خلق ســـلمان الأيتام الخمسة ومعنى الأيتــام الذين لا مثيل لهم وهم نوع من الملائكة خلقوا بدورهم العـــالم المحسـوس الحالى ، وأســماؤهم هى أسماء الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى الاســـلام • فهم المقداد بن أسود الكندى وهو يتحكم فيما يذهبون فى الصاعقة والبرق والزلازل الأرضية ، وأبو الدهر الجعذرى الذى يتحكم فى حركة الكواكب ، وعبد الله رواحة الذى يتحكم فى الرياح وفى عقول البشر ، وعثمــان بن مظعون النجاشى الذى يتحكم فى البطون وفى حرارة الاجسام والأمراض ، والقنبر بن قدان

الذى يبث فيما يزعمون الارواح فى الأجسـام • اليس القـول بالايتام وبتعددهم هو نوعا من القول بتعدد الآلهة كما كان يذهب اليونان وغيرهم من اصحاب الحضارات القديمة ؟ • وهؤلاء الايتام هم أيضا على التوالى الملائكة ميخائيل واسرافيل وعزرائيل ودردويل وسلسائيل • وبعد هؤلاء الأيتام الخمسة اتحدت الالوهية على الأرض باثنى عشر نقيبا وهم نواب على على الأرض الذين ينشرون العقائد •

ويقدم النصيرية تفسيرات لثالوثهم المقدس شبيهة الى حد كبير بتلك التى يقدمها المسيحيون لثالوثهم حتى ليبدو الأمر اكثر من مجرد مصادفة ويشير الى اخذ النصيرية عن المسيحية •

ويقسم النصيرية الزمان الى سبعة اطوار كل منها يقابل تجلى من التجليات الالهية، ويرجع هذا التقسيم الى التصور الفلكى القديم الذى حدد ايام الأسـبوع بسـبعة • وعند النصيرية ان الطور السابع لا يتميز بظهور المهدى المنتظر ـ كما ذهب الاسماعيلية من قبل اذ ان النصيرية خالية منفكرة المهدى المنتظر ـ بل يتميز بكونه طور الظهـور الالهى السـابع اى ظهور على بن أبى طالب • وفكرة تجسد شخصيات الثالوث الثلاث فى اجسـام انسانية فى كل طور من الأطوار السبع التى يسمونها القباب والتى ينقسم اليها تاريخ العالم تمثل ثانى عقائد النصيرية بعد الثالوث • ولكل قبة من هذه القباب السبع معنى واسم وباب • وأول هذه القباب كان اسـمها الحن ، وثانيها كان اسـمها البن والمعنى فيها كان هرمس ، وثالثهما اسـمها الطم ، ورابعها اسمها الرم ، وخامسها اسمها الجان ، وسادسها اسـمها الجن ، وسابعها اسمها اليونان والمعنى فيها كان ارسطو والاسم كان افلاطون والباب سـقراط ! القبة السابعة اذن فلسفية تماما كما نرى ولعلها المرة الوحيدة التى يتجلى فى عقيدة شيعية بوضوح الأخذ عن الفلسفة اليونانية بلا اية مداراة • وفى كل قبة من هذه القباب السبع كان الشيطان يتجسد فى ثلاثة اقانيم تكون وحـدة وتلك الاقانيم هى ابو بكر وعمـر وعثمـان • وفى كل قبة من هذه القباب كان على يتجسد فى المعنى • وآخر ظهورات على كانفى القباب السبع الذاتية ، وفى كل قبة منها تحل الالوهية فى شخص وتتمثل النبـوة فى

اخر · وأول حلول للالوهية كان فى القبة الأولى فى هابيل ، ثم حلت الألوهية فى شيث ثم فى سام ثم فى اسماعيل ثم فى هارون ثم فى شمعون الصفا واخيرا استقرت الالوهية فى على بن أبى طالب - أما النبوة فتحققت على التوالى فى آدم ثم فى نوح ثم فى ابراهيم ثم فى موسى ثم فى عيسى ثم فى محمد عليه السلام ·

(ب) التناسخ :

وتصادفنا هذه العقيدة عند كثير من فرق العلويين مثل الاسماعيلية وان امتازت عند النصيرية بانها بقيت كما كانت عليه زمن الوثنية · ومضمون هذه العقيدة ببساطة حلول الروح فى جسد آخر بعد فناء الجسد الذى كانت فيه · ويعتقد النصيرية انهم كانوا جميعا فى البداية نجوما او كواكبا لامعة متوهجة تنعم برؤية على ولكنهم استغرقوا فى تأمل ذاتهم فعاقبهم على بأن طردهم ونفاهم فى الأرض وسجنهم فى أجساد انسانية· ولابد للنصيرية الذين حلوا فى اجسام بشرية عقابا لهم ان يتكرر ذلك بالنسبة لهم سبع مرات قبل ان يعودوا للسماء نجوما مضيئة · وهذه العودة للسماء هى الرجعة البيضاء وفيها ترى تلك النفوس التى تطهرت العلى العظيم الكبير وهو يظهر من عين الشمس فى يوم الرجعة هذه ·

وهم يذهبون الى ان المسلمين بعد موتهم يتحولون الى حمير بينما تحول المسيحيون الى خنازير واليهود الى قرود ! أما النصيرية الزنادقة فان أرواحهم تحل فى اجسام حيوانية تصلح للطعام الانسانى · أما الذين تلقوا الدعوة النصيرية ثم شكوا فيها فيحلون فى اجساد القرود - أما الذين لا يتساوى عندهم الخير والشر فيبعثون فى حياة بشرية أرضية ثانية ولكن فى دين آخر · ويمثل التجسد فى اجساد الحيوانات عقابا شبيها بالجحيم فى الاديان الأخرى - وهم يقبلون دون سائر فرق الشيعة مفهوم الخطيئة الاصلية او الخطيئة الأولى وهى عندهم تأمل النصيرية لذاتهم عندما كانوا نجوما بدلا من تأمل على · والعودة للأرض عندهم تثير خوفا ليس له مثيل وهى تهديد لمن يفشى سر دينهم · والتناسخ ثلاثة انواع : النسخ وهو حلول الروح فى جسد بشرى اقل مرتبة ، والمسخ وهو حلول الروح فى جسد حيوانى ، والفسخ وهو حلولها فى نبات ·

وليس عند النصيرية بناء على أخذهم بعقيدة التناسخ بعث كلى يبعث فيه كل البشر بل عندهم رجعة فردية تعتمد على جهود كل فرد فى تحقيق الرجعة البيضاء ٠

وثمة أوجه شبه كثيرة بين التناسخ النصيرى وذلك الذى يقول به كل من البابليين والفرس وهو نفس المذهب الذى شاع عند الافلوطينيين وعند كثير من الغنوصيين الذين عاشوا فى سوريا ٠

(ج) الدعـوة :

ان معرفة الدين مقصورة عند النصيرية على الرجال دون النساء ، بل على المستجيبين من الرجال فحسب ٠ وفكرة الدعوة التى نجدها أيضا عند الاسماعيلية ، ضرورية فى رأينا لأية ديانة تحاول الانتشار فى غفلة من السلطات الدينية المسطرة على المجتمع الذى تعيش فيه ٠ ويقول النصيرية بثلاث مراحل للدعوة بدلا من تسع كما ذهبت الاسماعيلية ٠ وأول الشروط التى يجب توافرها فى المستجيب النصيرى هو أن يكون من أب ومن أم نصيريين ٠ ولا يمكن للأب ان يلعب دور الداعية لأبنه كما أن ذلك ليس ممكنا لأى قريب من الاقارب ٠ ومن شأن الدعوة أن تخلق قرابة روحية بين الداعية والمستجيب شبيهة بالأبوة الحقيقية بحيث لا يمكن للمستجيب الزواج من بنات الداعية ٠ ولا تبدأ الدعوة قبل سن الثامنة عشر ٠ ولابد أن يضمن المستجيب شخصان أو ثلاثة ، ومعنى الضمان هذا ضمان عدم افشاء الأسرار النصيرية ٠ وعلى اثر هذا الضمان يصبح الشيخ الداعية بالنسبة للمستجيب هو « العم السيد » ، أما اذا مات هذا الشيخ قبل انتماء المرحلة الأولى من الدعوة فلا بد للمستجيب أن يعيد الكرة من البداية ٠ ولابد للمستجيب أن يعلن فى أول جلسات الدعوة أو الاعداد عن تواضعه ، ويكون ذلك بأن يضع نعال الحاضرين على رأسه ! وفى نفس تلك الجلسة يعرفونه بالحروف عين ، ميم ، سين دون الكشف له عن معناها وهذه الحروف تمثل سر « عمس » ٠ وتنتهى هذه الجلسة بأن يسقى المستجيب نبيذا وهو رمز الالوهية ٠ وجاء عند سليمان فى الباكورة أن هذه الجلسة يطلق عليها اسم جمعية المشورة كما يطلق عليها اسم جمعية المشورة كما يطلق عليها اسم جلسة التعليق ٠ وبعد أربعين يوما يقيم الأهل حفلا كبيرا يدعى فيه الأصدقاء وتنحر فيه

الذبائح ، وهو بمثابة جلسة الاعـــداد الثانية • وفيه يتعلم المســتجد الفصول أو الســـور الســتة عشرة المكونة لكتاب المجمــوع ، وهو الكتاب المقدس الأول • وينتهى الحفل بصلاة • أما المرحلة الثـالثة أو الجلســة الثالثة والأخيرة فتتم بعد سبعة أو تسعة شــهور بالتمام من الجلســة الأولى وهى عبــارة عن احتفال اكبر من سابقه يمثل فيه الامام عليــا ويمثل نائباه النقيب والنجيب محمدا وســـلمانا اما النقباء الأثنى عشر فيذكروننا بحوارى عيسى • وفى هذا الحفل يكشف للمستجد عن أعظم الاسرار واولها وهو معنى عمس الذى طالما اثار فضولة • وهكذا يصبح هذا الشــــاب المســتجد نصيريا • ويتضح لنا مما ســـبق ان العقيدة النصيرية لاعتمادها على الاسرار هى أساسا عقيـــده باطنيــة تاخــذ بالتــاويل •

وينقسم النصيرية الى طبقتين طبقة الخاصة وهى طبقة الشيوخ وهى مكونة ممن ينتمون لعائلات المشايخ وممن استجابوا للدعوة • اما العامة فهم الفــلاحون الذين لم يتلقوا اية دعــوة والذين لا يعرفون الا ابســط المفاهيم الدينية • ولا تتاح لنســاء النصيرية فرصة الاعداد الدينى كما انه ليس من حقهن ممارسة الشــعائر الدينية ، وكل ما يمكن أن يتعلمنه هو ســــورة التطهير •

(د) الخضــــــر :

يقدس النصيرية الخضر وعبادتهم له من أعجب الاشكال التى يتجلى فيها الاحساس الدينى الشعبى البسيط • والخضر شــخصية اســطورية نجدها عند المسيحيين متخذة اسم مارجرجس أو سان جورج ، ونجــدها فى الأساطير الوثنية القديمة هى المخلص الأعظم • وهو عند النصيرية المخلص ايضا ، وكانت أعظم كراماته فيما يدعون تخليصه للبلاد من وحش اسطورى رهيب كان لابد من تقديم فتاة صغيرة له كل عــام • وهــذه الأسطورة نجدها على امتداد الساحل الفينيقى • والخضر مذكور فى القرآن بكسر الحاء بينما ينطق النصيرية هذا الاسم بضم الخاء • والغــريب أن كتاب المجموع لا يذكره الا مرة واحدة ، ومعنى هذا انه لا يحتل مكانة كبيرة فى الدين المدون كما قد يكون انه رمز لكل الرسل ومنهم عيسى

ومحمد • وبالنسبة للعامة يمثل الخضر الوهيسة على • ويقدم النصرية الخضر القرابين المختلفة من خيول وجمال وبغال كما ينذر له الأطفال والفتيات منهم بوجه خاص وعندما تنذر فتاة للخضر أو للقديس جورج فان جزءا من دوطتها وقت زواجها لابد أن يقدم له • وتدفع النذور لرئيس الدير ، ولكثرة هذه النذور يعين الدير وكلاء لجمعها فى الجبل •

٣ ـ مؤلفـــــاتهم :

أهم مؤلفات النصيرية الدينية على الاطلاق هى كتابهم المقدس « كتاب المجموع » الذى يمثل أعظم مصـــدر للراغبين فى الوقوف على النصيرية • وهو مكون من ست عشرة سورة تضم صلواتهم وكل عقيدتهم• ولا نعرف متى وضع هذا الكتاب وان جاء فيه ان الخصيبى هو الذى صاغ عقيدة وابتهالات النصيرية فى شكلها النهائى • وثمة اسطورة منتشرة تدعى ان النبى محمدا هو صاحب هـذا الكتاب وقد اهداه الى النصيرية دون أن يكشف عنه للمسلمين ، وقد سلمه للاثنى عشر نقيبا المذكورين فى السورة السادسة عشرة والى الاربعة وعشرين نجيبا ليلة العقبة بجوار مكة • ويتضح لقارىء هذا الكتاب أنه متأثر بكتابات الاسماعيلية ، وكل الأسماء الواردة فيه لشخصيات اسماعيلية • وكانت الكتابات الاسماعيلية قد تأثرت بشدة بالقرآن فتسرب هذا التاثير الى النصيرية ، وهذا يفسر لنا ذكر آيات قرآنية سليمة دون مساس تقريبا فى هـذا الكتاب • وللمجموع تفسيرات عـدة تختلف باختلاف فرق النصيرية وعلى النصيرى ان يقف على تفسيره •

وهناك كتاب آخر وهو القداس الذى يشمل على قداس الطيب وقداس البخور وقداس الآذان وقداس التمام واسمه قداس الاشارة وجميعها تستخدم فى الاعياد • اما « الاعياد والدلالات » فهو من تاليف سعيد ميمون بن القاسم الطبرانى والتاثير الاسماعيلى واضح بما فيه • ويعد مؤلفه من أئمة العقيدة النصيرية فهو يلى فى المرتبة الخصيبى وكان أحد تلاميذ محمد بن على الجيلى • وبالكتاب تهكمات كثيرة على ابى بكر وعثمان • اما كتاب الأسس فمن الارجح انه من تاليف سليمان بن داوود ، الذى يحتل مكانة الانبياء عند النصيرية ؛ وهو يعرض لطبيعة الله

والخلق والملائكة وكل ما فى السماوات والأرض ، وقد صنف عام ١٢٠٦هـ اى فيما بين ١٧٩١م و ١٧٩٢ · وهو من حيث الشكل عبارة عن سلسلة من الاسئلة يثيرها السائل فيجيب عليها العالم · وهناك كتاب الصراط تاليف المفضل بن عمر ، وكتاب مسائل أبى عبد الله بن هارون الصائغ عن شيخه أبى عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبى ، وكتاب تعليم ديانة النصيرية ·

أما كتاب « الباكورة السليمانية فى كشف اسرار الديانة النصيرية » فهو من تاليف سليمان افندى الأذنى وقد طبعه فى بيروت عام ١٨٦٣ ·وكان سليمان افندى هذا نصيريا شماليا ثم تحول الى اليهودية ثم الى الاسلام وأخيرا الى المسيحية البروتستانتية · ولقد كشف لنا هذا الكتاب عن خبايا هذه الديانة السرية الباطنية ، ويعد هذا الكتاب من أوثق مصادرنا فى العصر الحديث ، خاصة وان معظم مؤلفات النصيرية الدينية ما يزال مخطوطا · ويمكننا القول ان كل ادبهم الدينى يشهد بضحالة فكرية شديدة وما كتابهم المقدس « كتاب المجموع » الا تقليد مشوه للقران ·

٤ ـ فـرق النصـيرية :

يتفق النصيرية فى العقائد الاساسية كالثالوث والتناسخ والدعوة ، ولكنهم يختلفون فيما يتعليق بالرمز الخارجى الذى تتجلى فيه الالوهية بطريقة تامة · والمقصود بالرمز تلك الظاهرة الطبيعية التى يمكن اعتبارها المحسوس الذى يتجلى فيه المعنى أى على ، أى الرمز الذى تدور حوله العقيدة · ولقد انقسمت النصيرية الى أربع فرق هى الشمالية أو الشمسية ، والكلازية أو القمرية ، والغيبية والحيدرية وجميعها تؤمن بنفس الكتاب المقدس وهو « كتاب المجموع » ولا تختلف الا فى المسائل الثانوية ·

والشمالية أو الشمسية ترى الشمس هى رمز الالوهية فهى التى يجب أن تعبد ، أما الكيلازية فتذهب الى ان هذا الرمز هو القمر ، بينما تراه الغيبية الهواء ، وتؤكد الحيدرية انه الشفق او الضوء الذى يسبق شروق وغروب الشمس · تذهب الشمالية أو الشمسية الى ان الله اى عليا

الذى يوحدون بينه وبين السماء مقره الشمس التى تمثل محمدا · وبما ان محمدا هو المكان فمن المنطقى أن يكون على ساكنا فى الشمس · وهم يؤكدون الوهية محمد وهو ما حرمه القرآن ولذا تدينهم الفرق الأخرى وترى أنه كان عليهم أن يستبدلوا باسم محمد اسم على · ويذهب الشماليون مدافعين عن عقيدتهم بان محمدا وعليا مرتبطان وليسا غرباء ، وبان عليا اذا كان هو العلة الأولى فان محمدا ايضا خالق · وينتشر الشماليون فى كل المناطق النصيرية وأن تركزوا بالذات فى أنطاكية · ولا نجد تفسيرا لهذه التسمية بالشماليين اى لتوحيدهم بين الشمال والشمس الا باعتبار الشمال عندهم هو مكان الشمس فى مسارها الليلى · ويبالغ الشماليون فى تقديسهم لمحمد ويستغلون نظرية الالة الممزج بين على ومحمد ولهذا يتأولون ما جاء فى المجموع فى السورة الخامسة فيقولون ان محمدا هو الاسم وهو يحتوى على صفات للمعنى (أى على) وهو يجتمع به دون أن يتحد به تماما ، أو هو متحد به بالنور ومنفصل عنه يتجلى الظهور · ويتحد محمد بعلى اثناء الليل فى رأيهم ولكنه ينفصل عنه اثناء النهار فمحمد هو الشمس اى مقر على اما الباب فهو القمر ·

أما الكيلازية او القمرية فيختلفون مع الشمالية ولذا يتأولون « كتاب المجموع » بما يتفق مع رأيهم اى بما يجعل القمر هو رمز الالوهيه· واصبح الوجود اللامع الذى تتحدث عنه سور المجموع لا يشير عندهم الى الشمس ، بل الى القمر · وعندهم ان عليا ، هذه الالوهية المحجبة بعد أن ظهر على الارض اختار القمر مقرا له · وهو يوجد بالذات فى الجزء المظلم من القمر المحتجب عن العيون الذى يبدو لامعا فى ضوء النهار · الا أن هذا التفسير لا يتفق ابدا مع ما جاء فى « كتاب المجموع » وهو ما يتضح لقارئه الموضوعى · وكل مؤلفات الكيلازية الدينية عبارة عن أشعار عن القمر ·

ويعتقد الغيبية ان الله قد تجلى اى ظهر ثم أصبح غير مرئى وان العصور الحالية من عصور الغيبة، وما الغيبة الا حالة الاختفاء المطلق للألوهية · أصل اسمهم يرجع اذن الى ان الله عندهم فى كل مكان دون أن يرى أى هو الهواء · وهم يستبدلون بتعبير « هو » الذى جاء فى السورة

الأولى من الباكورة : « وأنت ياعلى بن أبى طالب الدليل عليه والكل أنت هو ياهو ياهو يامن لا يعلم ما هو الا هو » كلمة « هواء » · ويذهبون الى أن الائمة الاحد عشر الذين يتبعون عليا يعدون ممثلين لفترة الغيب ·
أما الحيدرية فيمثلون أكبر الفرق عددا وقد تأثروا أكثر من سائر الفرق بالمعتقدات الاجنبية على الاسلام · وترجع تسميتهم بهذا الاسم الى حيدر أى الاسد وهو اللقب الذى كان على قد اكتسبه لشجاعته فى المعارك ،وهذا اللقب موجود فى سور كتاب « المجموع » ·

٥ ـ الشعائر والأعياد :

بالرغم من أن النصيرية لا يقيمون دورا للعبادة الا أن بلادهم مليئة بالقباب المقامة فو قمم التلال وهى تغطى قبور القديسين ، وهم يجتمعون حولها فى أعيادهم وتحيط الأشجار العتيقة بهذه القبور · ولقد أصبحت هذه الاشجار مقدسة هى أيضا عندهم · ويتمثل دين العامة فى زيادة هذه القبور وفى تقديم القرابين لها ، أما دين الخاصة المستجيبين فيتمثل فى وقوفهم على المعنى المقدس لسر « عمس » وفى معرفتهم لتأويلات الكتب المقدسة ويطلق على القباب أيضا « منزارات » جمع مزاد لأنها أماكن للحجوهى الأبنية الدينية الوحيدة وغالبا ما تكون على شكل بناء مربع صغير تعلوه قبة طليت بعناية باللون الابيض · أما المساجد فهى غير مطروقة لدى النصيرية ولقد باء بالفشل كل المحاولات التى بذلت منذ عهد الملك الظاهر حتى السلطان عبد الحميد لاقامتها فى جبل النصرية ·

والشعائر الاسلامية الأصل قليلة عند النصيرية وقد تسربت اليهم بطريقة تلقائية بواسطة العقيدة الاسماعيلية التى استمالتهم فى القرن الثامن الهجرى مثل الصلاة خمس مرات وجواز الزواج بأربع ، الا أنهم قد أخذوا بظاهر هذه الشعائر دون الاحتفاظ بدلالتها · وما يزال تفسير وجود كثير من العناصر المسيحية فى شعائر النصرية الدينية من الاسرار التى يحرصون على الاحتفاظ بها وافشاؤها عقوبته الموت · وعندهم أن الانسان يمكن أن يمارس علنا شعائر الدين المسيحى بين المسيحين ، وشعائر الدين الاسلامى اذا كان بين المسلمين تقية · وهم يقولون : نحن النصيرية بمثابة الاجساد والاديان الأخرى بمثابة الابردية · والرداء

لا يغير طبيعة الانسان فهو يتركه كما هو · وهكذا نحن دائما نصيرية وان مارسنا فى العلينة الشعائر الدينية الخاصة بجيراننا ولو فعلنا غير ذلك لكتنا اشبه بالمجانين الذين يسيرون عرايا فى الشوارع » · وكانت السرية التى تحيط بشعائرهم مبعث ريبة المسلمين مما كان يدفعهم الى اساءة معاملتهم · وكان رد النصيرية على هذه الاهانات المتتالية هو رد الضعفاء اى لعن الاسلام والدعاء بانهيار السلطة العثمانية · ومنذ عام ١٩٢٩ اى منذ أن أصبحت لهم دولة مستقلة هى دولة العلويين وأن اندمجت فى سوريا بعد اعلان هذه الجمهورية · أصبح النصيرية لا يترددون فى الاعلان عن دينهم · وهم يجلون زعماءهم الدينيين او « شيوخ الدين » ، كما يطلقون عليهم فى مقابل « شيوخ العلم » ؛ وهو اللقب الذى يطلقونه على الزعماء السياسيين · وهم يقيمون القباب فوق مقابر الشيوخ ؛ ويحرص هؤلاء المشايخ على هيبتهم امام العامة فلا يظهرون بمظهر من لهم احتياجات جسمانية عادية كالأكل والشرب ·

والشهادة عندهم تقليد لصيغة الشهادة الاسلامية وهى : « أشهد ان لا اله الا على بن ابى طالب » وهى مذكورة فى السورة الحادية عشرة من المجموع ·

والنصيرية يتأولون فريضة الحج الاسلامية بأن البيت المأمور زيارته فى القرآن المقصود به معرفة على بن ابى طالب ومحمد وفاطمة والحسن والحسين ومحسن سر الخفى والشريف الهاشمى والمقداد وجعفر الصادق وأبى الدر · فعلى هو سقف هذا البيت ، ومحمد هو البيت ، وفاطمة هى أرضه والحسن والحسين هما القبتان ، ومحسن سر الخفى هو الزاوية الغامضة الخفية التى هى فى نصف البيت ، أما الشريف الهاشمى فهو صاحب البيت العلوى ، وأما المقداد فهو الصفا وأما جعفر الصادق فهو حلقة باب البيت وأما أبو الدر فهو المروة ، والصلاة عندهم خمسة ، الظهر هى صلاة لمحمد ، والعصر لفاطر وهى فاطمة عندهم ، والمغرب للحسن ، والعشاء للحسين ، والصباح لمحسن جعفر الخفى ·

ليس لدى النصيرية أعياد خاصة بهم ولذا فان أغلب اعيادهم شديدة الشبه بأعياد المسيحية · ولقد تسربت اليهم من الاسماعيلية مجموعة من

الاحتفالات الشيعية والفارسية · وهم لا يجتمعون فى أعيادهم فى هياكل مثــلا بل فى دار أحـــد الأثرياء الذى يقيم الاحتفـال على نفقته · وفى الاحتفال يقرأ الشيوخ بعض الآيات ويرتلون بعض الصـلوات ثم ينتهى الحفل بغذاء · وأكبر أعياد النصيرية هو عيد الغدير فى ١٨ ذى الحجـة الذى يحتفل فيه بنزول الآية « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالة الله والله يعصمك من الناس » والاحتفال بعيد الغدير نجده عند كل الشيعة ولكن بينما يذهب سائر الشيعة الى ان محمدا فى ذلك اليوم عين عليا وصيا له فان النصيرية لمغالاتهم فى تقـديس على يعتبرونه اليوم الذى أعلن فيــه محمد ان عليا هو المعنى اى هو جـوهر الالوهية · كما يحتفل النصيرية بعيد شيعى آخر هو عيد عاشوراء الموافق للعاشر من محرم وهو ذكرى مقتل الحسين وأهله فى كربلاء · ولديهم عيد لا نجد له مثيل عند الشيعة وهو عيد الفراش الذى يحتفل بذكرى نوم على فى فراش محمد ليلة الهجرة كى يتثنى لمحمد النجاة مما كان يضمره له الاعداء · ولعل العيد الوحيد الذى اقتبسته النصيرية من الاسلام هو عيد الأضحى فى العاشر من ذى الحجة · والأعياد المسيحية التى يحتفلون بها عديدة وهو ما يميزهم عن غيرهم من فرق الشيعة · وأهم هذه الأعياد عيد أول العام أو عيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد الزعف وغيد الفصح ، كما يحتفلون بذكرى شـهداء الكنيسة الشرقية مثـل ذكرى سانت كاترين · ويرجع بعض الباحثين المسيحيين المتعصبين دينيا احتفال النصيرية بأعياد المسيحية الى تبعيــة تلك الطائفة الاقتصادية للمسيحيين المجـاورين لهم تلك التبعيــة الى تدفعهم الى تمـلق المســيحيين · ويرد على هـؤلاء بأن المســيحيين يكونون اقليـة فى تلك المنطقـة وربمـا كان تفسير الاحتفال بالاعياد بالتبعية الاقتصادية يصدق على الاعياد المقتبسة من الاسلام أكثر مما يصدق على الاحتفال بالاعيـاد المسيحية لان المسـلمين هم الأكثرية المسيطرة اقتصاديا فى تلك المنطقة ·

الخـــــــاتمة

يحرص بعض الباحثين المسيحيين على تأكيد ان النصيرية يمثلون مثالا واضحا لطائفة انتقلت مباشرة من الوثنية الى العقيدة الاسماعيلية مما يتيح لهم اعتبارها من الفرق الاســلامية منكرين انها مرت بمرحلة اعتناق للدين المسيحى · ورأى هؤلاء يتعارض مع ما لمســتناه من أخذ النصيرية بالكثير من العنــاصر الدينية المســيحية ومن نقـل لكثير من الأعياد ولبعض الشعائر المسيحية · ويمكننا القول ان الاسلام قدم لهــذه الفرقة شكلا جديدا لعبادتهم القديمة المتمثلة أساسا فى العبــادة الوثنية للطبيعة ، اى انه قدم لهم اسماء جديدة لمفاهيم قديمة · ولذا يمكننا القول أن النصيرية مثلها مثل الدرزية والعلى الهى مشتقة من الاسماعيلية السبعية الباطنية وبالتالى فصلتها بالاسلام صلة شكلية فحسب ، هذا بالرغم من بعض المحــاولات التى تقوم بهــا للظهور بمظهر الاســلام · والعجيب أن النصيرية يعتبرون أنفسهم أهل التوحيد الحقيقيين دون سائر المسلمين ، فهم يعتقدون ان لديهم التأويل السليم الملتزم بفكر الشيعة ويعتبرون سائر الشيعة ظاهرية مقصرة لم تستطع النفاذ الى أعماق التوحيد الحق !

وفى رأينا ان النصيرية قـد أخـذت من الدين المسيحى أكثر ممــا أخذت من الدين الاسلامى ، ويكفى أن عقيدة التثليث عندهم هى محور العقيدة وكذلك عقيدة التجسد وان حاول البــاحثون المسيحيون ارجاع هاتين العقيدتين الى اصل وثنى قديم · هى خليط من المسيحية المشوهة ومن الوثنية سواء كانت الفينيقية أو الفنوصية أو المــانوية أو المجوسية ومن الاســـماعيلية الباطنية المغالية ولكنها تخلـــو تماما من اى عنصر اسلامى ســنى ·

ولقــد اتفق المسيحيون والمســلمون على ادانة النصيرية أخلاقيــا تجلى ذلك فى كتب أعدائهم من الدروز وعلى رأسها كتاب حمزة الذى

كان وزيرا للحاكم بأمر الله ، كما تجلى فى فتوه ابن تيمية التى تمثل جهود المسلمين السنيين فى بعض البدع الدينية ٠

والدراسة الموضوعية للمؤلفات النصيرية الدينية والدراسة التحليلية النقـدية لعقيدتهم تجعل الباحث يستغرق فى حيرة شديدة من أمر هــذه الطائفة التى مازالت تحتفظ فى القرن العشرين بمثل هذا الـكم من البـدع والخرافات والأساطير ٠

المراجـــــع

ـ الأشعرى مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ـ نشر وتحقيق ريتر ـ جزاءن ـ أستانبول ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ .

ـ الايجى : المواقف ـ قام بطبعه ونشره ابراهيم الدسـوقى عطية وأحمد محمد الحنبولى ـ مطبعة العلوم ـ ١٣٥٧هـ .

ـ البغـدادى : الفرق بين الفـرق ـ نشر وتعـليق محمـد بدر ـ مطبعة المعـارف ـ مصر ١٩١٠ .

ـ الشهر ستانى : الملل والنحل ـ مطبعة بولاق بمصر ١٢٦٣هـ .

ـ نوفل أفندى نوفل : كتاب سوسنة سليمان فى أصول العقائد والاديان ـ المطبعة الامريكية فى بيروت سنة ١٩٢٢ .

— Dussaud (René) : Histoire et religion des Nosairis-Paris 1900.

— Encyclopédie de l'Islam, Nusairi-Tome III.

— Goldziher (Ignas) : Le doghe et la loi de l'Islam-Traduction de Félix Arin-Paris 1920.

— Lammens (Henri) : Les Nosairis-Notes sur leur histoire et leur religion-Beyrouth 1899.

— Lammens (Henri) : L'Islam-Croyances et institutions-Imprimerie catholique-Beyrouth 1926.

— Lammens (Henri) : Au pays des Nossairis-Extrait de la revue de l'Orient Chrétien-Paris 1900.

— De Sacy (Silvestre) : Exposé de la religion des Druzes-2 tomes-Paris 1838.

الفصل الرابع

البـــابية والبهـــائية

اولا ــ البابيـــة :

١ ــ البـــاب :

شـــهد القرن التـاسع عشر ثلاث فرق اسـلامية تلفيقية الى حد كبير هى الأحمدية فى الهند التى يطلق عليها كذلك القديانية وقد أسسها غلام احمد (١٨٣٩ ــ ١٩٠٨) والبابية فى ايران التى اسسها ميرزا على محمد الملقب بالباب (١٨١٩ ــ ١٨٥٠) والبهائية التى حلت محل البابية بدءا من عام ١٨٦٣ وهى تلك الفرقة التى أسسها ميرزا حسين على نورى الذى اشتهر باسم بهاء الله · وللوقوف على البهائية لابد من الرجـوع لأصولها ونعنى بهـا عقيدة البابية التى كانت للبهـائية بمـكانة الأصـل والمنبت ·

كانت الأحوال السياسية فى الدولة الفارسية قد ساءت الى حد كبير جدا ولذا تلهف الشعب الفارسى على ظهور مخلص يكون له طابع دنيى يحقق له المعجزة · وليس هذا بالأمر الغريب ، انما هذا شأن الشعوب المتخلفة دائما اذا ما اعتصرتها المشاكل والمحـن وشق عليها الحـــل الانسانى انصرفت عنه وانتظرت المخلص · وسرعان ما تحقق « أمل » الشعب بظهور المهدى المنتظر الذى اتخذ لنفسه اسـم الباب ، فالتف حوله الناس معتقدين أن دعوته انما هى دعوة اسلامية أصيلة · ولد الباب واسمه ميرزا على محمد فى شيراز فى أول محرم سـنة ١٢٣٥ هـ الموافق ٢١ اكتوبر سنة ١٨١٩ ، من أب تاجر هو ميرزا رضا البزاز وأم أدعت انها من نسـل فاطمة بنت الرســول · توفى والده وهو طفل فتولاه خاله الذى كان يعمل بالتجـارة والذى سيعمل معه فيها بابنا فيما بعد · درس مبدىء اللغتين الفارسية والعربية وان ادعت البابية بعد ذلك أنه

كان أميا تماما وأن كل ما جاء به كان وحيا · تلقى تعاليم الشيعة من فرقة تدعى الشيخية كانت قد انفصلت عن الشـــيعة الامامية التى تمثل أغلبية الشـــعب الفارسى · والشـــيخية التى أسسها الشيخ أحمـد الاحسائى فى القرن الثانى عشر الهجرى طورت مفهوم المهدى المنتظر فلم يعد هو ذلك الذى ولد من مئات السنين واختفى على أن يعـود فى يوم موعود ، بل هو شخص سـيولد فى يوم موعود · وبهذا خالفت أصـلا جوهريا من أصول عقيدة الشيعة الاثنى عشرية بل والاسماعيلية ، وفُتحت الباب على مصرعيه لامكان ظهور مهديين أو مدعين للمهدية فى نطـاق التشيع · وكان كاظم رشتى خليفة الشيخ الاحسائى يبشر بقرب ظهـور الامام المهدى المنتظر ولذا عندما ظهر الباب وأدعى دعوته وهو أصـلا من أتبـــاع الشـيخية ، اعتبرته هـذه ممهدا أو مبشرا بظهـور المهـدى المنتظـــر ·

نعود لميرزا على محمد لنقول انه شـاع عنه قضاء النهـار بطوله فوق ســـطح منزله فى بوشــــهر ، حيث كان يقيم مع خاله بعد وفاة والـده ، تحت أشـعة الشمس المحـرقة حاسر الراس منهمكا فى الاذكار وفى تلاوة الاوراد · ومن المعروف أن المتصوف المتعبد يحتاج للخلـوة بنفسه فى مكان هادىء لا يشغله فيه شيئا عن التوجه لله ، أما اختيار مكانا حارا للغـــاية عمدا فانما يدل على نوع من الخبل بلا شك ! وأنهى ميرزا على محمد اعتكافه بظهوره بين الناس وبادعائه أنه باب المهدى · أقبل عليه البعض مؤمنين بدعـوته فلما بلغوا الثمانية عشر أســـماهم بحروف لفظة « حى » التى تبلغ بحســاب الحروف ثمانية عشر · أرسـل هؤلاء دعاة لمذهبه ومبشرين بظهوره الى كل من خراســان وكرمان دون بقية بلاد ايران · وسبب اقتصاره على خراســان محاولة استغلال رواه أحمد البيهقى فى كتاب « دلائل النبـــوة » جاء فيه « اذا رأيتم الرايات السود من قبل خراســـان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدى » ·

وقد سـمى ميرزا على محمد بالباب (أى باب المهدى) نسبة الى ما جاء فى القرآن « وأتوا البيوت من أبوابها » والى الحديث النبـوى :

« أنا مدينة العلم وعلى بابها » ، فهو الباب الذى سيؤدى بالناس الى معرفة المهدى المنتظر أى أن بواسطته سيتعرف الناس على الامام الثانى عشر الذى تنتظره الشيعة الاثنا عشرية ٠

ولا نرى ضرورة لتتبع احداث حياة الباب العجيبة ونكتفى بالقول انه هو ودعوته سببا الكثير من الاضطرابات والقلق للحكومة الايرانية ولذا أعدمته فى السابع والعشرين من شعبان عام ١٢٦٦ هـ الموافق التاسع من يوليو من عام ١٨٥٠ ٠ ولقد تركت جثته وجثة زميله فى العراء لتنهشهما الكلاب الى أن دفنه أتباعه فى مستودع سرى ٠ ثم نقل جثمانه الى فلسطين بعد عدة سنوات وأقيم له قبر عظيم فيها فى عكا ٠ والى جوار هذا القبر أقام فيما بعد بهاء الله طوال اقامته فى عكا حتى جاءته المنية فدفن فيه بدوره ٠

٢ ـ العقيدة البابية :

فى البداية أعلن ميرزا على محمد انه الباب الذى يبشر بظهور المهدى المنتظر ٠ ولكن الطموح الانسانى الذى يحثه النجاح دفع بالباب الى تطوير مفهوم الباب فلم يعد هو المبشر بالمهدى المنتظر المستور بل أصبح هو ذاته ذلك المهدى المنتظر الذى سيهدى العالم للحق ٠ يقول فى البيان : « واننى أنا القائم الذى كل ينتظرون يومه وكل به يوعدون وقد خلقنى الله بأمره وجعلنى قائما على كل نفس بما قد أتانى الله من الآيات والبينات انه هو المهيمن القيوم ولعمرى أول من سجد لى محمد ثم على ثم الذين هم شهداء من بعده ثم أبواب المهدى » ٠ وربما كانت عقيدة الامام والمهدى المنتظر هى العقيدة الوحيدة التى احتفظت بها البابية من عقائد الشيعة الامامية كما أنها نقطة الالتقاء الوحيدة بينها وبين الاسلام أما فيما عداها فليست ثمة علاقة بين البابية والمبادىء الاسلامية ٠

لقد استلهم الباب غلاة الشيعة وخاصة الاسماعيلية الباطنيه لوضع نظريته ولم يقف عند هذا الحد بل ترك لقب الباب وادعى أنه النقطة ٠ وتفسيره للنقطة عجيب يقول فى البيان : « ان محمدا كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطة » ٠ والنقطة عنده ليس مجرد نبى بل هو

تشخيص او تجسيد لله • وعندما بلغت به الجرأة هذا الحد واصبح يلقب نفسه بالنقطة تخلى عن لقب باب الباب لاحد اتبـــاعه وهو ملا حسين بشرويه الخراســـانى الذى سيصبح فيما بعد بهاء الله • ومن الألقاب التى اتخذها ميرزا على محمد لنفسه لقب الذكر مدعيا انه المراد من الآية « انا نحن نزلنـا الذكر وانا له لحافظون » ومن الآية « فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » • وكذلك لقب خالق الحق ! • وهذه الألقاب التى خلعها على نفســه تعكس تصوراته للدور الذى ارتاه لنفســـه بل وللعقيدة بأكملها •

ومن العقائد التى اخذ بها الباب والتى سبق أن أوضحناها ونحن بصدد حديثنا عن عقائد الامامية عقيدة البداء • الا أن البـاب كعادته حرف هذه العقيدة الشيعية الاساسية تحريفا كبيرا بحيث أصبحت على يديه مختلفة تماما عما كانت عليه أصلا • لقد أصبحت البداء عنده قدرة الله على الرجوع عن أوامره الســابقة • ومن الجلى أن الاسلام لا يحوى مثل هذه العقيدة فمفهوم الالوهية الاســلامى مما يتعارض مع هذا المفهوم العجيب • والاســلام عندما يقول بالنسخ يعنى تغيير الله لبعض القواعد التشريعية التى جاء بها الرســـل السابقون على محمد والتى عدلها الله لتتناسب مع التغيير الذى طرأ على تطور الحيـاة الانســـانية • وفى اعتقادنا أن الباب قال بهذه العقيدة ليبرر كل ما يتناقض فى مذهبه مع ما جاء فى الاديان الســـماوية الثلاثة الســـابقة •

وادعى الباب ان الله واحد تماما كما هو واحد فى الاســلام وفى ســائر العقائد الســماوية الا أن المدقق فى هــذا الادعــاء يتضح له أن وحدة الله عنده ليست وحدة حقيقية بل هى وحدة بين جوهرين : الجوهر الالهى وهو الله والفيض الصــادر عنه الذى يخلق كل شىء ، وما هــذا الفيض الا النقطة كما ذكر فى البيـــان • خالق الكون عند البـــاب ليس هو الله اذن انما هو النقطة أى نقطة بدء الخلق • وهكذا جعل البـــاب نفسه هو الخالق ، وهو الذى بعث بكل الرسـل إلى البشرية وهو الذى تجسد فيهم على التــوالى • تجســـد ــ فيما ذهب ــ فى آدم ، ثم فى ابراهيم ، ثم فى موسى ، ففى المسيح ، وفى محمــد ، بل وليس هنــاك ما يمنع تجسده فى المســتقبل فى كل خلفائه • وهكذا ابتعدت البابية

تماما عن المفهوم الاسلامى للنبوة ، فالأنبياء لديها ليسوا بشرا كما تقول العقيدة الاسلامية وتصر على ذلك ، بل هم تجسيدات مختلفة للفيض الالهى • وليس بغريب قول الباب بذلك المفهوم الأقرب الى مفهوم التناسخ ، اذ أن هذا الأخير كان من المعتقدات الباطنية التى انتشرت فى بلاد العجم منذ بدء التشيع • ولذا لم يكن بغريب ان يدعى بعض اتباع الباب ، استغلالا لهذا المفهوم التراثى الراسخ فى نفوس الفرس ، أن الباب هو الحسن ، وان يدعى بعضهم أنه الحسين ، وأن يدعى بعض ثالث أنه غيرهما من الأئمة • نسبت البابية كل صفات الالوهية للفيض او للنقطة ، وسلبتها من مفهوم الله فاصبح عندها جوهرا بلا اسم ، ولا وظيفة ! •

وميرزا على محمد لا يعترف بالبعث ولا بيوم الحساب بالمعنى الذى جاء به فى القرآن • فالبعث عنده بعثان أولهما ساعة أن أعلن رسالته كمهدى منتظر أى الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشرة من غروب شمس اليوم الرابع الموافق الخامس من جمادى الأول سنة ١٢٦٠ هـ • ولا ندرى كيف فات دقته العلمية تحديد التوقيت الذى التزم به • أما قبل هذا البعث فكان الناس يجهلون الحقيقة ويعيشون بلا هدف ، حياة جسمانية فحسب ، والحياة الجسمانية هى والموت واحد • وبظهوره ظهرت الحقيقة ولم يعد هؤلاء الناس جهلاء انما هم بعثوا للحياة الحقيقية بعد أن كانوا أمواتا • والناس بعبادتهم للباب ـ فيما أدعى هو ـ يحققون الهدف من وجودهم ويستمتعون بمباهج هذا الوجود أما اذا تجاهلوا الباب فسيحكم عليهم بمواصلة حياة الجهل التى لا هدف لها ولا مباهج فيها ، تلك الحياة الجسمانية التى هى اشبه بالموت • أما البعث الثانى فهو ذلك الذى يتجسد فيه هو مرة أخرى فى صورة انسانية جديدة بعد أن يكون انتهى وجوده الأرضى الأول • هذا البعث هو اذن بعثه هو وليس بعث البشر جميعا • وكما جعل البعث بعثين جعل الحساب حسابين الاول هو الحساب الصغير ويتمثل فى محاسبة كل نبى للناس فى عصره على موقفهم من النبى السابق عليه ومعنى هذا أن الباب جاء فى الأرض ليحاسب الناس على موقفهم من محمد الذى كان قد جاء بدوره ليحاسب الناس على موقفهم من عيسى ، وهكذا • أما الحساب

الكبير فسيكون يوم أن يبعث الباب مرة اخرى كما سبق أن بينا عند الحديث عن البعث الثانى ٠

ومما أخذه الباب عن الاسماعيلية اهتمامهم بالحروف وعنايتهم الفائقة ببيان قيمتها العددية ٠ وذهب الى أن أهم هذه الحروف على الاطلاق هى تلك التى تكون تعبير « بهاء الله » اذ أن هذا التعبير يعبر عن الوحدة الالهية ، وقيمته العددية تسعة عشر ٠ ولقد جعل هذا الرقم رقما مقدسا كما جعله نقطة ارتكاز لكل حساباته وتفسيراته العددية للامور المختلفة تلك التفسيرات التى شغلت جانبا كبيراً من افكاره وكتاباته ٠ ومرة اخرى يطرح نفسه علينا هذا السؤال الفلسفى الخالد : لماذا ؟ لماذا اختار الباب الرقم تسعة عشر بالذات ؟ قلنا أن تعبير « بهاء الله » عنده قيمته تسعة عشر ، وما نضيفه الآن أن هذا التعبير مرادف للفظة « الحى » فى مذهبه ٠ وأكد الباب أن حروف « الحى » أو « بهاء الله » هى كناية عن تسعة عشر انسانا هو اولهم ، ويأتى بعده على التوالى ملا على محمد البارفروشى أو المازندرانى الملقب بالقدوس ، فملا حسين بشرويه الملقب بباب الباب والذى سيصبح فيما بعد بهاء الله ، فاقا محمد حسن وهو أخوه ، فاقا ميرزا باقر الصغير وهو ابن خاله ، فملا على البسطامى ، فقرة العين الطاهرة تلك المرأة اللغز التى نؤجل الحديث عنها قليلا (والغريب انها لم تلتق بالباب أبدا) ٠ فمحمد ابدال ، فكاتب ولى الباب اقا السيد حسين اليزدى بن اقا السيد أحمد ، فميرزا محمد روضة ، فخوان اليزدى ، فسعيد الهندى ، فملا محمد الخوئى ،فملا خدا يخشى القوجانى ، فملا جليل الرومى ، فملا باقر التبريزى ، فملا يوسف الاردبيلى ، فميرزا هادى القزوينى ، فميرزا محمد القزوينى ، فملا حسين البجستانى ٠ والغريب أن هذا الأخير تراجع تماما عن موقفه وانكر الباب والبابية على اثر مقتل الباب ولما سئل عن سبب ذلك أجاب مفسرا موقفه « انتى لم اكن جديرا بأن أعد من حروف الحى لأن هذا المقام فوق كفاءتى وجدارتى » ٠ ومن الباحثين من يعلل تقديس البابية للرقم تسعة عشر بأن هذا الرقم يتكون من الرقم اثنى عشر وهو رمز الاثنى عشرية ، ومن الرقم تسعة وهم رمز الاسماعيلية ، اذ أن الباب استقى مذهبه من هاتين الفرقتين ، ونعتقد أن الرأى الأول أقرب للصواب لأنه يمثل التعليل الذى يقدمه

البابية انفسهم لاختيار هذا الرقم بالذات ليكون مقدسا ، اما الرأى الثانى فهو رأى الباحثين الذين يحـاولون دراسـة أى مذهب بمنهج التأثير والتأثر ولذا رأوا أن هذا الرقم المقدس هو خير دليل على تأثر البابية بكل من الاثنى عشرية والاسماعيلية .

واشترط البـاب عدم تأويل أو تفسير نص من نصوص بيانه ذهب فيه الى أن مدة الوهيته هى ٢٠٣١ عاما يطلق عليها اسم المستغاث . وكل من يدعى شيئا فى غضون مدة المستغاث هذه فلا يقبل منه اطلاقا ، اما من يدعى شيئا بعدها فطاعته واجبة . يقول فى البيـان « كل من ادعى امرا قبل سـنين المستغاث فهو مفتر كذاب اقتلوه » وهكذا اراد هذا المختل ان يضمن لمذهبه الاسـتقرار بواسـطة الارهـاب والتهديد بالقتل لمدة الفى عـام ! .

وجعل البـاب قبلة الصـلاة شخصه اذا كان حاضرا أو المنزل الذى ولد به فى شيراز ان كان غائبا ، كما جعل هذا المنزل هـو مكان حج الاتباع . وجعل الصلاة ركعتين فحسب وقت الصباح . اما الصـوم فهو لمدة شـهر من الشهور البابية أى لمدة تسعة عشر يوما على ان يكون أول أيام عيد الفطر هو يوم ٢١ مارس أى يوم عيد النيروز وهو عيد الربيـع عند الفرس . ومن أحكامه التى ينكرها اتباعه انه يجب تخريب جميع الاماكن المقدسـة كمكة وبيت المقدس وقبـور الأنبياء عند الاستطاعة أى عند امتلاك السـلطة . وكذلك وضع البـاب قواعـد للزواج والطلاق فحبذ الزواج بواحدة وان سمح بالزواج باثنتين ، وحارب الطلاق وان سـمح به تسـع عشرة مرة متتالية بين الزوجين على ان يكـون بين الزواج والطلاق تسعة عشر يوما على الأقل . ولا تجوز الحيـاة الزوجية بعد الطلاق التاسـع عشر .

ولم يكتف بالاهتمام بالجانب الدينى فحسب بل اهتم ايضا بالجانب الأخلاقى فنـادى بالمسـاواة وبالاخاء بين جميع البشر ، وليس بين المسلمين فحسب ، كما نادى بالمسـاواة بين الرجل والمرأة . وكان للباب موقف عجيب من العلم والتعليم اذ حاربهما وذهب الى انه يكفى تعلم القراءة والكتابة والحساب ، اما سـائر المعارف فلا داعى لدراستها اذ يكفى للوقوف عليها الرجوع لكتابه المقدس وهو البيـان اذ انه يحتويها

جميعا . ولم يكن موقفه من الاديان السابقة باقل عجبا ، لقد اصر على نسخها صراحة وخاصة شريعة القـرآن زاعما ان كل دين افضـــل من السـابق عليـه .

٣ ـ مؤلفـات البـــاب :

كان انتـاج البـاب كبيرا رديئا ، يكشف عن جهل شـديد بالعلوم الدينية واللغوية على حد سـواء . ولعل البيـان هو اهم مؤلفاته على الاطلاق وكان قد وضعه عندما لاحظ اقبال النـــاس عليه معتقدين انه الملخص الذى طالما حلموا به . وقد سـماه بالبيـــان مدعيا انه المشـار اليه فى القـــرآن الكريم بالآية « الرحمن علم القـرآن خلق الانسـان علمه البيـــان » . وتأول هذه الآية بان الانســان هنا هو محمد اما البيان فهو كتابه هذا الذى نحن بصدده . وللبيان صيغتان واحدة عربية واخرى فارسـية . ولقد نشر اسـتاذنا المرحوم الشيخ الدكتور تاج فى نهاية كتابه عن البابية البيـان العربى وهو كتاب صغير للغـــاية لا يتعدى الثلاث وعشرين ورقة فحسب وهو سلسلة من الخلط والعبث ، ومحاولة صبيانية لصياغة بعض الافكار الساذجة على نمط اســـلوب القـــرآن . وكانت هذه المحاولة الفاشلة دليـلا قاطعا على جهل صاحبها الشـديد باللغة العربية . وقد علل الباب ركاكة لغته العربية تعليلا يدل على عقلية امتلأت بالخرافت والأوهام عندما قال ان الحروف والكلمات كانت قد ارتكبت المعصية فى الزمن الأول ولذا عوقبت على تلك الخطيئة بأن قيدت بسلاسل الاعراب . وعندما جاء الباب خلصها ـ فيما يذهب ـ كما خلص كل المذنبين ولذا اصبحت حرة منطلقة لا تخضع لقيـود . وربما لا يشعر الباحثـون الغربيون بتلك الركاكة اللغوية التى يحسها القارىء العـربى لأنهم غالبا لا يطلعون الا على ترجمته الفرنسـية التى قام بها جوبينو محسنا لغته الأصلية تحسينا عظيما . اما البيـان الفارسى فقد ترجمته العلامة نيكولاس وهو المتخصص الأول فى المذهب البـابى الى اللغـة الفرنسـية . والبيــان الفارسى تكرار للموضوعات الأساسية المذكـورة فى البيـان العربى وان كان اضخم بسبب التفسيرات والايضاحات التى اضافها البـاب للأصـل العربى .

والبيـان هو كتاب الشريعة والأحكام البابية وفيه تأول صـاحبه الاخبـار والأحاديث النبـوية بما يؤيد مشروعة • ويكفى قراءة أى لوح من الواحه للتيقن من أن الرجل لم يكن لديه رســالة من أى نوع يبلغها للنـاس • فهو على سـبيل المثال يستعمل فى اللوح الثانى كل مشتقات كلمة القدم فى جمل لا معنى لها يكرر بعضها عدة مرات • ولقد ترك البـاب كلا من البيـان العربى والفارسى غير كاملين ولذا يذهب مؤرخو البهائية الى أن البـــاب فعل ذلك عمدا ليترك الفرصة لبهاء الله لاتمام العقيدة ! •

واذا كان البيـان هو اهـم مؤلفاته فان أولها كان « الرســـالة العدلية فى الفرائض الاسلامية » الذى الفه وهو فى كربلاء حيث مشهد الحسين وفيه ينبذ فرائض الاسلام • ومن مؤلفاته كذلك شرح لســـورة يوسف يطلق عليه اسم « أحسن القصص » • وهو تفسير سىء للغـاية لا يتعدى كونه مجموعة من الكلمات المرصوصة جنبا الى جنب بلا معنى • وقد كشف فيه الباب عن غرور صبيانى لا يليق بالأنبيـاء عندما قال « انى افضل من محمد كما أن قرانى افضل من قرآن محمد • واذا قال محمـد يعجز البشر عن الاتيان بسورة من سور القـرآن فانا اقول يعجز البشر عن الاتيان بحرف مثل حروف قرآنى • أن محمد كان بمقام الألف وانا بمقام النقطة » • وللباب كذلك كتاب على نسق الصحيفة السجادية المنسوبة للامام على بن حسين بن على ابن أبى طالب • وله كذلك شرح أو تفسير لسـورة العصر ، وله ايضا « صحيفة الحرمين » التى يطلق عليها البعض « صحيفة الحج » • أما « كتاب الروح » فهو عبارة عن مجموعة من الابتهالات والدعوات ، وأما « قدوس الاسماء » فهو اكثر مؤلفـاته غموضا •

٤ ــ تقييــم :

من الســـهل تقييم البابية فامرها واضح جلى لا يحتاج لعناء من الباحث لكشفه • فبالرغم من كونها استمدت أصولها من أحدى طوائف الشيعة الاثنى عشرية ونعنى بها طائفة الشيخية الا أنها لا تعدو فى بلورتها الأخيرة الا أن تكون تلفيقا غير متجانس من عقائد شيعية كلها مغالاة

وأراء فلسفية شتى منها الغنوصية ، ومن أديان مختلفة منها السماوى مثل اليهودية ومنها غير السماوى مثل البوذية · وبهذا الشكل البابية مذهب بعيد تماما عن الاسلام بل هى لا تمت بصلة حقيقية لأى دين سماوى اذ انكرت كل المفاهيم الأساسية التى تقر بها كل الاديان المنزلة ولم تحتفظ منها الا باسمها بعد أن أعطتها مضمونا جديدا تماما · وخير مثال على ذلك مفاهيم الله والرسل والحساب والبعث · وقد اتفق علماء الأزهر الشريف فى مصر وعلماء الشيعة فى العراق وايران على تكفير البابية والبهائية التى انبثقت منها ·

ولنا أن نتساءل لماذا لقت هذه الدعوة على ما فيها من شطط واضح قبولا لدى الناس ؟ ربما احتاجت الاجابة عن هذا السؤال الى دراسات معرفية ـ اجتماعية طويلة الا أن القدر الذى وقفنا عليه من الحقائق يتيح لنا القول ان أهم عوامل النجاح النسبى الذى حققته البابية يرجع الى الجهل · وللجهل بالطبع أسبابه السياسية والاقتصادية العميقة · وهذا الجهل يجعل الناس يرون الأمل الوحيد فى الخلاص من مشاكلهم المتشابكة ومن أحوالهم المتردية يتمثل فى مبعوث من السماء هو المخلص ، أو فى تجسيد لله على الأرض سواء اتخذ لنفسه اسم الباب أو النقطة أو المهدى المنتظر · أما اذا حاولنا الوقوف على الأسباب الاجتماعية المختلفة سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم فكرية التى كانت وراء النجاح المؤقت للبابية لقلنا ان أهم هذه الأسباب ضعف الحكومة الفارسية نتيجة للانتفاضات الشعبية التلاحقة التى هزتها بعنف من جهة ، ونتيجة للصراع على السلطة من جهة أخرى ذلك الصراع الذى كان الشاه محمد شاه أحد طرفيه بالطبع وكان أعمامه هم طرفه الثانى · أما ثانى هذه الاسباب فهو تبديد جهد الدولة فى محاولة قمع عصيان الافغان الذين كانوا يتبعون الدولة الايرانية والذين استطاعوا فى نهاية صراعهم مع الدولة الحصول على الاستقلال · وثالث أسباب نجاح البابية هو فساد الجهاز الحاكم واستغلاله للرعية ، وموالاة بعض المسئولين وعلى رأسهم ميرزا اقا خان النورى المازندرانى الى انجلترا ، وموالاة البعض الآخر لروسيا · فاذا أضفنا الى هذه الأسباب انحدار

الفقهاء الى جهل لا يليق برسالتهم فى الأمة والى استغلال بشع للناس ، واضطهاد الحكومة للعلماء الحقيقيين ومطاردتها لهم لعلمها بأنهم يمثلون الخطر الحقيقى عليها لأدركنا أن جوهر أسباب ظهور الحركات السرية الغريبة فى كل زمان وفى كل مكان لا يتغير ٠

ثانيا ـ البهائية :

١ ـ بهاء الله :

كان الباب قد عين لخلافته أخوين من نبلاء الفرس هما ابنين لأحد الوزراء هما ميرزا يحيى على نورى وميرزا حسين على نورى ٠ وكان لقب الأول هو صبح أزل ولقب الثانى هو بهاء الله ٠ ولد بهاء الله فى الثانى من محرم من عام ٢٣٣ هجريا أو فى الثانى عشر من نوفمبر من عام ١٨١٧ فى اقليم مازلدران ٠ وفى سن الثلاثين اعتنق بهاء الله البابية وذاع صيته لبلاغته وثقافته العريضة ٠ واستمرت حركة البابية وبهاء الله من ألمع زعمائها كفرقة سرية تعمل فى الخفاء بعيدا عن عيون الدولة الى أن وقعت محاولة اغتيال شاه ايران نصير الدين فى أغسطس من عام ١٨٥٢ واتهمت فيها جماعة من البابية فقبض على معظم اتباع هذا المذهب ومن بينهم الاخوان يحيى وحسين على نورى ٠ ونجح أحد اقاربهما وكان وزيرا فى الابقاء على حياتهما واكتفت الحكومة بابعادهما الى بغداد فى محرم ١٢٦٩ ٠ وفى بغداد أعلن بهاء الله فى ابريل من عام ١٨٦٣ وسط جماعة صغيرة من البابية أنه هو المهدى الذى بشر به الباب ٠ وسرعان ما أصبحت بغداد مركزا لنشاط الحركة البابية ذلك النشاط الذى امتد الى ايران مرة ثانية ، عندئذ طلبت الحكومة الفارسية من سلطان تركيا الذى تتبعه العراق ابعاد هذين الأخوين واتباعهما عن حدودها ٠ واستجاب السلطان وأبعدهما بالفعل الى اسطنبول حيث مكثوا عدة شهور ثم رحلوا الى أدرنة عام ١٨٦٤ التى يطلق عليها اتباع بهاء الله اسم « بلاد الاسرار » ٠ وما كاد الاخوان يستقران فى تلك المدينة حتى احتدم الصراع بينهما على خلافة الباب ، كل منهما يريد الاستئثار بها لنفسه فيهاجم الآخر ، ويكيل له التهم مما أدى الى انقسام البابية الى قسمين قسم يتبع بهاء الله وهو الأكثر عددا وآخر يتبع صبح أزل الذى كان الباب نفسه قد أوصى له بالخلافة البابية ٠

ويكاد يكون الاجماع تاما على ان الباب استخلف الميرزا يحيى قبل قتله بمدة بل أن يكون أخوه حسين أو البهاء وكيــلا له من واجبه حمـاية الخليفة • وكانت حمـاية الخليفـة تتمثل فى حجبه واخفـائه عن أعين الأعداء تمسكا بتقليد شيعى قـديم هو تقليد التقية • ولقد اتقن البهـاء هذا الدور حينا فكان يخاطب النـاس نيابة عن أخيه • واسـتمر الحال على هذا الوضع حتى وقت اقامة الأخوين فى ادرنة حيث أدرك صبح أزل أن البهاء خطط لسرقة الخلافة • وحدثت المواجهة بينهما وظهر الصراع جليا بينهما • وعندئذ لقب الميرزا حسين نفسه بـ « اشـان » أى هم وهو لقب يتخذه مشـايخ وزعماء الطائفة التركمانية فى تركسـتان • ثم تلقب بالذكر وهو ذات اللقب الذى اتخذه من قبل الباب ، ثم بالطلعة المباركة ثم بالجمـال المبـارك ، ثم بجمال القدم والحـق ، وأخيرا ببهاء الله • وهذا التعبير مأخوذ من دعاء يتلوه الشـيعة فى أوقات السـحر من شـهر رمضـان حيث يقولون « اللهم انى أسألك من بهائك بأبهاه وكل بهائك بهى ، اللهم انى أسألك ببهائك كله » • وهكذا انقسمت البابية الى بهائية وازلية وبلغ الصراع بين الشقين حدا أن كل من الأخوين كان يدس السم للآخر فى الطعـام وكل منهما كان يتهم الآخر بالكذب والدجل • ونعت صبح ازل أخاه فى الألواح بالعجل ، بينما نعت بهاء الله أخـاه فى الأقدس بالكافر والمشرك •

وانتهى أمر هذا الصراع بأن ضاقت الحـكومة التركيـة بزعيمى البابية وبأتباعهما بالرغم من كونها قد أحسنت ضيافتهم لسنين طوال فأبعدت صبح أزل الى قبرص وبهاء الله الى عكا هو وسبعين من أتباعه ، وصلوها فى أغسطس عـام ١٨٦٨ واصبحت تلك المدينة مقـرا للبهائيه ومكانا مقدسا لهم • وفى عكا بذل بهاء الله كافة الجهود لنشر دعـوته ولاكتسـاب الانتصـار ، وفيها أعلن على الملأ دعـوته وحقيقة شخصيته ، وانكر كل ما كان يدعيه البـاب • وزعم أنه شـجرة المعـارف الالهية والموجود الذى يجسـد الجوهر الالهى وانه روح الله ، وهو الذى بعث بالانبياء بالرسـل ، وهو الذى أوحى بالاديان • وزعم ان الباب لم يكن الا نبيا كل دوره هو التبشير بظهوره هو ، أو بعبارته كان الباب هو القائم بينما هو القيوم الذى سيظل وسيبقى ، فهو الذى قال عنه البـاب

« سيظهر فى يوم من الايام من هو أعظم منى » • وتلقب بهاء الله « بمظهر الله » أو بمنظر الله » أى ان الله تجلى فيه • قال عن نفسه فى الاقدس معبرا عن هذه التصورات « يا ملأ الانسان اسمعوا نداء مالك السماء انه يناديكم من شطر سجنه الأعظم ، انه لا اله الا انا المقتدر المتكبر » •

ولم يعد مذهب بهاء الله بعد هذه التعديلات الجوهرية التى ادخلها صاحبة على المذهب البابى امتدادا لهذا الأخير ، بل اصبح عقيدة جديدة تماما مختلفة عن كل ما سبقها من عقائد • ودعى بهاء الله البشرية جمعاء الى اعتناق هذا « الدين » الجديد كما كان يسميه ذلك الدين الذى سيسود فى رايه جميع الأمم مما دعى ابنه عباس الى اعتباره على حد قوله « موعود بجميع الأمم والاقوام » • واذا كان الشيعة الامامية قد تمسكوا باهداب لاسلام فلم يعطوا للامام سلطة الاتيان بشرع جديد فان البابيه وتلتها البهائية لم تقيما وزنا لحدود الاسلام فذهبتا باراء الشيعة الى نهايتها القصوى ، فلم يعد الباب أو بهاء الله نائبين عن الامام المستور أو حتى لم يعدا هذا الامام المنتظر ذاته بل ادعا كل منهما انه صاحب دين جديد فخرجا بذلك عن الاسلام تماما •

توفى بهاء الله بعد هذه الحياه الحافلة المضطربة فى عكا فى ٢ من ذى القعدة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٨ مايو عام ١٨٩٢ ودفن فيها •

٢ ـ العقيدة البهائية :

ربما يجدر بنا قبل الحديث عن هذه العقيدة تقديم لمحة عن مؤلفات بهاء الله • ولأن بهاء الله ذهب الى أن رسالته نسخت رسالة الباب فقد صاغ بدوره كتبه المقدسة وأهمها « الأقدس » الذى يحوى كل مفاهيم مذهبه وكل تشريعاته • والأقدس مكتوب باللغة العربية وأسلوبه أفضل وأوضح نسبيا من أسلوب الباب وان ظل يعوزه المزيد من الدقة فى تحديد الافكار • وهو الاقدس بمعنى أنه أقدس من التوراة والانجيل اللذين يطلق عليهما الكتاب المقدس ، كما انه أقدس من القرآن أيضا • ولبهاء الله أيضا كتاب « ايقان » الذى يعالج فيه دور الانبياء ومفهاهيم

البعث والحساب التى لا تختلف كثيرا عن مفاهيم الباب · وله كذلك « كلمات مكنونة » الذى ترجم الى الفرنسية وهو يتكون من مجموعة من الرسائل · وله كذلك « الهيكل » وهو باللغتين العربية والفارسية ، و « اشراقات والالواح » · وله « الاساس الأعظم » وهو أساس تشريعية ، وقصيدة أسماها « ورتائية » · والجدير بالذكر أن كل كتب بهاء الله ترجمت الى الانجليزية وبعضها ترجم الى الفرنسية الا الأقدس الذى لم يترجم الى لغة اخرى حتى الآن · والجدير بالذكر أيضا أن الباحث فى البهائية يجد مشقة هائلة فى الحصول على كتب هذا المذهب ويبدو أن سبب ذلك يرجع الى حرص أصحابه وتمسكهم بالسرية المطلقة خوفا من بطش من يحيط بهم ولا يؤمن بمذهبهم ·

نعود للعقيدة البهائية فنقول ان بهاء الله عنى عناية خاصة بنسخ البابية وبيانها حتى تخلو له الساحة فيفرض عقيدته هو . وجعل قيمة البابية الوحيدة هى التبشير ببهاء الله · يقول « أياكم أن يمنعكم ما فى البيان عن ربكم الرحمن ، تالله انه قد نزل لذكرى لو انتم تعرفون ، لا يجد منه المخلصون الا عرف حبى واسمى ··· كل يا قوم توجهوا الى ما نزل قلمى الا على ·· » هذا ما جاء فى الأقدس مؤلها البهاء بطريقة ساذجة ·

أما عن الله فقد ذهب الى أنه لا يمكن أن يوصف اذ لا توجد صفات يمكن أن تصفه ، ولا أدلة على وجوده او غيابه ، ولذا اختار الله ان يعلن عن نفسه من خلال رسله امثال ابراهيم وموسى وزرادشت وبوذا وعيسى ومحمد والباب · وما هؤلاء الرسل ـ فيما زعم ـ الا تجليات لله وتعبير عن ارادته ولذا فهم يكونون سويا وحدة · وترتب على زعمه هذا اعتقاده بأن جوهر كافة الأديان واحد ، وان تميز كل منها بخصائص معينة تتناسب مع احتياجات العصر ومع المكان ومع درجة الحضارة التى يظهر فيها الرسول · معنى هذا انه اعتقد ان الوحى يتطور بتطور الانسانية · ولم يعتبر بهاء الله نفسه آخر تجليات الله أو آخر « ظهور » له ، بل ادعى أن ثمة تجليات أخرى ستعقبه فى المستقبل · ويحاول البهائية تبرير عقيدتهم هذه عن التجليات الالهية المستقبلية بقولهم ان الجزم بانقطاع الوحى الالهى ويغلق ابواب الرحمة

الالهية من الاقوال التى لا تجد لها سندا فى الواقع اذ ان الانســانية قد بلغت فى تطورها حالا اصبحت فيه فى أشــد الحاجة الى الوحى والرحمة الالهيين ، أكثر مما كانت تحتاج اليهما فى أى عصر ســالف ٠ لم تشأ رحمة الله ترك العالم بلا فيض الهى ولذا تجلى الله فى بهــاء الله ٠ وفكرة ضرورة تجلى الله للانســانية رحمــة بها هى تطوير أو تحريف لفكرة الشيعة عن اللطف الالهى الذى يحتم وجود الامام اذ أن الله أكرم بعبــاده من أن يدعهم بدون امام ٠ وبتأكيد بهــاء الله لكونه يمثل تجليا للالوهية لا للشيعة فحسب ولا للمسلمين فحسب بل هو كذلك للانســــانية جمعاء ، يكون قد قضى على البقية الباقية من تصــورات الشيعة الامامية عن الامامة وعن المهــدية ، تلك التصورات التى كان الباب قد ســبق له تشويهها فجاء بهــاء اللــه وقطع كل صلة تربطها بالاســلام الشــيعى ٠

وكان الباب قد أعلن انه ســيعود مرة أخرى فى صــورة جسدية مختلفة وأطلق على هذا البعث اســم البعث الثانى كما سبق أن بينا ، وأن أحدا يجب الا يسأله عندئذ عن افعاله ، اخذ بهاء الله هذه الفكرة وقال انه لا يخطىء أبدا وأن من عدله أن يعتبر ما هو عدل ظلما ، وما هو خير شرا ، وأن يعتبر الايمان كفرا ٠ وبعبارة أخرى ذهب بهاء الله الى من حقه أن يقول عكس ما هو معروف وأن يخالف العقائد الســابقة ، وما على كافة البشر الا الايمان بما يقول ٠ وما هذا القول فى رأينا الا تحريف لعقيدة البداء دخل عليها فأفقدها معالمها الجوهرية بحيث أصبح من العسير علينا التعرف على أصلها الشيعى ٠ وفى الأقدس وهو كتابه المقدس كما سبق لنا القول يعلن بهاء الله تارة أنه رسول من عنــد الله وصاحب دعوة دينية ، ويذهب تارة اخرى الى أنه الله ذاته ، ويدعى فى تارة ثالثة أن الله حل فى شخصه فيشبه عندئذ الحلاج بنظريته فى الحلول ٠ وان دل هذا على شىء فانما يدل على عجز بهاء الدين عن وضع حدود فاصلة بين الجانب البشرى الزمانى فى شخصه والجانب الالهى الخــالد الذى يدعيه ، كما يدل على تخبط فكرى واضح مصدره ذلك الطموح الشديد الذى دفع بصاحبه الى اعتبار نفسه الاها بعد أن كان يعتبر نفسه رسولا أو مهديا منتظرا ٠ ومن اقواله فى الأقــدس والتى تعبر عن قــوله بالحلول

« وقـل لا يرى فى هيـكلى الا هيـل الله ، ولا فى جمـادى الا جمـاده ، ولا فى كينونتى الا كينونته ، ولا فى ذاتى الا ذاته » • ويقول مؤلها نفسه معتبرا نفسه الله الباطن والظاهر فى آن واحد : « ويطلق عليه الظاهر لأنه يرى اسمائه وصفاته ويعرف بانه « لا اله الا هـو » ويطلق عليه اسـم الباطن لانه لا يوصف بوصف ولا يعرف بما ذكر •• وانه لا يعرف بالأفكار ولا يدرك بالأبصار على ما هو عليـه من علو علوه وسـمو سـموه أنه لبالمنظر الأعلى والافق الأبهى » •

وذهب بهاء الله الى ان لا محمدا ولا غيره من الأنبياء ولا الأئمـة استطاعوا أن يدركوا المعنى الحقيقى للنصوص المقدسة التى أولى بها الله وحتى لو كانوا قد فعلوا فان الله قد حرم عليهم افشاء معنى هذه النصوص للنـاس اذ أن هؤلاء لم يبلغوا بعد درجة النضج العقلى التى تتيح لهم ادراك هذا المعنى ، كان على الانسانية أن تنتظر حتى تصل الى درجـة معينة من الكمال العقلى تستطيع معه أن تدرك هـذا المعنى الخفى الذى أراده الله ، وذلك بواسطة تجلى الله فى تجسيد انسانى يكشف النقاب عن كل أسرار الكتب المنزلة • وكان بهاء الله هو بالطبع هذا التجسيد الذى سيحقق تلك المعجزة التى انتظرتها الانسانية طويلا • ويزعم بهاء الله أن هذا المعنى هو المشار اليـه فى القـرآن فى الآية ٢١٠ من سورة البقـرة «. هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظل من الغمام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمـور » • وهـو يتأولها بأن الله سيأتى الى النـاس متجسدا فى جسم انسانى وهذا ما تحقق بالفعل بمجىء بهاء الله ومعه أتباعه الذين يرمز اليهم القرآن بالملائكة • وادعى ان نفس المعنى نجده فى الآية السابقة من سورة آل عمـران : « هو الذى أنزل عليك الكتاب من آيات محكمات من أم الكتاب وأخـر متشبهات تاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشسابه منه أبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكـر الا أولوا الألبـاب » •

واضح ان بهـاء الله استخدم مناهج التأويل التى كانت تستخدمها الفرق الباطنية من غلاة الشيعة • الا أن استخدامه للتأويل تجاوز كل

الحدود التى كان يلتزم بها السابقون عليه من غلاة الشيعة ولذا قال بآراء لم يجرؤ أحد قبله على الافصاح عنها · ومن هذه الآراء أن الحقـائق الالهية فى الأديان السماوية واحدة لأن هذه الاديان فى حقيقة أمرها دين واحد · وهو وحده الذى يستطيع كشف النقاب عن هذه الحقـائق التى ظلت مستترة حتى جاء هو · فهو وحده المهدى الموعود أو هو وحـده « ظهـور الله » · وقبله كانت الحقائق الالهية فى كافة النصوص المقدسة مكتومة عن الانبياء · ويستشهد على صحة رأيه هذا بالقـرآن الذى جاء فيه أن القوم كذبوا القرآن لأنهم لم يدركوا معانيه اذ جـاء فى سـورة يونس « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله » · كما جاء فى القرآن وعد صريح بنزول بيـان للقرآن وذلك فى الآية « يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق » · واعتبر بهاء الله نفسه هو المشـار اليه فى هذه الآية بأنه حامل التأويل وهو الذى سيحل كل مشاكل العقيدة ! وأكد بها الله ليضمن لنفسه حق الكلمة الأخيرة بأن اللا حق من الرسل هو الذى يفسر السابق فحقائق التوراة لم تتضح الا بظهور عيسى ، وحقائق الانجيل ما ظهرت الا بظهور محمد ، ولم تظهـر حقائق كل من اليهودية والمسيحية والاسـلام معا الا بظهـوره هـو بهـاء الله ·

والخلـق فيما ذهب بهاء اللـه من شأن الله ، وبذلك يكون خالف البابية التى سبق لنا توضيح مذهبها فى هذا المقـام · والخلق عنده قديم أى أنه لم توجد لحظة لم يوجد فيها العالم · والله خلق ضمن ما خلق الانسـان ولذا فغاية الحياة الانسانية فى نظر البهائية هى معرفة الله وعبادته ولقد منح الله أكمل البشر نفوسا خالدة تتناسخ فتبعث مرات متتالية فى أبدان مختلفة · وكما فعل الباب من قبل فعل بهاء اللـه من بعده ، أى أنه تأول المفاهيم المختلفة تأويلا جديدا فتأول البعث والحشر والملائكة والحساب · فالبعث هو ظهوره هو وقيامه بالدعـوة · والجنة والنـار هى رموز لعلاقة الله بالنفس · والملائكة ليس المقصود بها المعنى الحرفىللكلمة والا لساعدت الرسل كما جاء فى الكتب المقدسة ونجحت فى حمل الناس على تصديقهم وهو غير ما يقـوله لنا التاريخ · انما الملائكة فى حقيقة الأمر رجال تخلصوا من كل ما هو انسـانى دنس فى

طبيعتهم بفضل حبهم لله فحب الله قادر على تحقيق ذلك • ويستشهد على صحة رأيه بالامام جعفر الصادق سادس ائمة الشيعة الذى ذهب فيما ادعى الى نفس ما يذهب هو اليه •

ومن العقائد التى اخذتها البهائية من الشيعة عقيدة التقية • وكان بهاء الله يساير كل انسان حسب عقيدته فاذا ما واجه اليهود ادعى ان موسى هو افضل الأنبياء وأنه بعث من جديد فى شخصه ؛ أما اذا واجه مسيحيين فكان يقول ان بهاء الله هو المسيح الذى ينتظره الناس ؛ أما اذا وجد بين المسلمين فكان يدعى انه هو المهدى المنتظر • وفى الأوساط الفكرية كان يدعى انه يريد جمع كلمة البشر دون التفرقة بين أجناس أو اديان ليحقق للجميع السعادة القصوى • واذا عرفنا ان البهائية يلتزمون بهذا المبدأ فى الفعل والقول لادركنا صعوبة الوقوف على حقيقة مذهبهم •

ولأن البهائية زعمت انها دين جديد فقد وضعت فروضا دينية جديدة تختلف عن مثيلاتها فى كل الأديان السابقة • جعل بهاء الله الصلاة تسع ركعات على أن يولى المصلون وجوههم شطر مقامه فى عكا ، وابطل صلاة الجماعة الا على الميت • وجعل عدد شهور العام تسعة عشر شهرا مثل البابية ، وجعل شهر الصوم هو ذلك الذى ينتهى بعيد النيروز ، وجعل الحج الى مقامه فى عكا ، وغير احكام الميراث ، وبدل أحكام العقوبات والسرقة والزنا وعالج موضوع العلاقات الزوجية ، فجعل الحد الأقصى التزوج باثنتين ، وان جعل المثل الأعلى هو الزواج بواحدة فحسب ، وهو فى هذا يسير على سنة الباب • وأباح بهاء الله للبهائية كل ما حرمته الأديان السابقة ، فللانسان فى رأيه الحق فى فعل أى شىء على الا يتعارض هذا مع العقل الانسانى السليم كما جاء فى الكتاب الأقدس ، ولكنه حرص على تحريم الخمر والمخدرات ، وكل ما يجعل الانسان يغيب عن وعيه •

ومن أهم مبادىء البهائية مبدأ وحدة الاديان فالاديان عندها ليست الثلاثة المنزلة فحسب بل هى تسعة ، فهى تؤمن فضلا عن اليهودية والمسيحية والاسلام ، والصابئة والبرهماتية والبوذية والزرادشتية والبابية والبهائية بالطبع • وان دل هذا على شىء فانما يدل على أن البهائية

لا تحقل بمسألة الوحى والا كانت فصلت بين الاديان الثلاثة المنزلة وآخرها الاسلام وبين تلك الديانات الأخرى • وليعلى من شأن « دينـه » أكد بهاء الله أنه الوحيد الذى أدرك المعنى الحقيقى للنصوص المقدسة • وفى رأينا أنه لم يقل بوحدة الاديان هذه الا ليجعل نفسه على رأس هذه الوحدة ، ولينصب نفسه مفسرها الوحيد فاذا ما اقتنع الناس بذلك كان منطقيا أن يتركوا دينهم ليعتنقوا الدين الكلى الشـــامل الذى يوحـد بين كافة الأديان •

٣ - فلسـفة البهـائية الاجتمـــاعية :

لم يكن بهاء الله يعتبر عقيدته تجديدا للاسلام أو ثورة على بعض مفاهيمه ، بل كان طموحه أكبر بكثير (!) اذ زعم أنه جاء لينشر الدين الجديد دين الاخاء بين الناس كافة • فدينه هو الدين العالمى الذى سيجعل هذا العالم وطنا للجميع • والذين يتأولون هذا المذهب تأويلا فلسـفيا يحلو لهم أن يروا فيه مجموعة من الأسس الضرورية لحياة اجتمـاعية سـليمة • وهم يدعون أن بهاء الله أدرك أن الدين الحديث يجب الا يعنى فحسب بالحياة الروحية للمؤمن بل من واجبـه أن يهتم كذلك بحيـــاته العملية • وفات هؤلاء أن الاديان الســـــماوية فى حقيقـة أمرها تعنى بالجانب الروحى فضلا عن عنايتها بالجانب العملى لحيـاة الانســان ولقد أدرك بهاء الله فيما يبدو وتأكد من ذلك ابنه عباس فيما بعد من أن أية محاولة من جانب البهائية لربط الدولة بالدين سيكون مصيرها تدميرهما من أصحاب السلطة الذين تهدد دائما مصالحهم مثل هذه الدعـوة ، ولذا أصر الاثنان على أن البهائية ليست حزبا سياسـيا • بل وضع عبـاس كتابا هو « الســياسة » أرجع فيه مصائب كل من تركيا وفارس فى القرن التاسع عشر الى اقتحام رجال الدين عالم السياسة •

ولأن بهاء الله كان يحلم بجعل دينه هو دين العالم كافة فقد حث اتباعه على دراسة اللغات الأجنبية حتى يمكنهم نشر الدعـوة بين كافة البشر ، بل ونادى بايجاد لغة عالمية موحدة من شأنها تحقيق الترابط بين البشر • وشـجع العلم والتعليم ولذا نسخ ما دعا اليه الباب فى بيـانه من تجاهل العلم والتعليم ومن احـراق كل من الكتب المقدســة والكتب

العلمية . قال بهاء الله فى الاقدس « قد عفا الله عنكم فى البيان من محو الكتب واذنا لكم بأن تقرءوا من العلوم ما لا ينتهى الى المجادلة فى الكلام ، فهذا خير لكم ان انتم من العارفين » .

وحاول بهاء الله أن يجعل للمصلحة العامة المقام الأول فحرم الحرب تحريما تاما ودعى الى الحد من استعمال الاسلحة الا وقت الحاجة ، كما طالب بوجود محكمة دولية تمثل امامها كل الدول لتحسم خلافاتها . وتمسك بالمساواة بين البشر ، واستنكر التفرقة العنصرية ، ودعا الى القضاء على الطبقات وعلى الامتيازات الدينية . وادعى أنه قد نزلت عليه سورة تسمى سورة الملوك انب فيها سلطان تركيا لأنه فرق بين طبقات شعبه من حيث الحقوق والواجبات فجعل لبعضها امتيازات دون البعض الآخر . واكد المساواة المطلقة بين البشر فى « نسائم الرحمن » عندما قال « يا ابناء الانسان هل عرفتم لم خلقناكم من تراب واحد ، لئلا يفتخر احد على احد وتفكروا فى كل حين فى خلق انفسكم اذ ينبغى كما خلقناكم من شىء واحد أن تكونوا كنفس واحدة بحيث تمشون على رجل واحدة وتاكلون من فم واحد وتسكنون فى أرض واحدة حتى تظهر من كينونتكم واعمالكم وافعالكم آيات التوحيد وجواهر التجريد » .

الا أن موقف بهاء الله من الحرية جاء عجيبا . وفى اعتقادنا انه ما ذهب الى ما ذهب اليه الا ليضمن الطاعة العمياء لعقيدته . لقد هاجم الحرية بحجة انها غاية الجهلاء ، فالانسان يحتاج لرادع ، اما الاستمتاع بالحرية فأمر جدير بالحيوان وحده ! ولا ندرى ما رأى المتحمسين للبهائية فى هذا الرأى ؟ ! يقول بهاء الله « أنا نرى بعض الناس أرادوا الحرية ويفتخرون بها ، أولئك ، فى جهل مبين . ان الحرية تنتهى عواقبها الى الفتنة التى لا تخمد نارها ... فاعلموا أن مطالع الحرية ومظاهرها هى الحيوان ، والانسان ينبغى أن يكون تحت سنن تحفظه عن جهل نفسه .. ان الحرية تخرج الانسان عن شئون الآداب والوقار ... قل الحرية فى اتباع أوامرى لو انتم من العارفين » وهكذا وجه بهاء الله ضربة قاضية لحلم الانسانية وهدفها الأعظم ، اى للحرية التى اقرت بها كل الاديان والمذاهب الفلسفية على اختلافها .

واذا كان هذا هو موقف البهائية الصريح من الحـــرية الاجتماعية ـ ومن عناصرها الحرية الفـكرية ـ فقـد جاء موقفها من هـذه الأخيرة متناقضا تماما مع نفسها ! فتمسكت بحـرية العقيدة والايمان والفكر · وذهبت الى أن هـذه الحرية أصبحت من حـقوق الانسـان فى كل مـكان وتقرها جميع الدساتير فكيف يحاربها البعض بعد ذلك باسم الدين ؟ أن من يفعل ذلك يخالف قانونا هاما من قوانين الحـكومة ·· أى حـكومة · وفى رأينا أنه اذا كانت حرية العقيدة والفكر من أهم حقوق الانسان الا أن ثمة اجماعا على أن من الأفكار ما هو أشبه بالهلوسة التى تضر بالمجتمع ، ولذا لابد من محـاربتها · ولا تـكون محـاربتها فى رأينا بالاجـــراءات التعسفية أو الأحكام القضائية لأن التقيـة عندئذ ستكون هى الملاذ انمـا محاربتها يكون بالقضاء على أسباب ظهورها والاقبال عليها ·

وثمة مبدأ آخر يفيد دعوتهم ولذا تمسك به البهائية تمسكا شديدا ونعنى به الاستقلال فى تحرى الحقيقة · ولا يمكن لانسان أن ينـكر قيمة هذا المبدأ ولكن علينا فحص اسلوب تطبيقه ، فليس كل السلف تالف يجب تركه ، خاصة اذا كان هــذا التراث السلفى يسـتند الى نصوص مقدسة واضـحة · عنت البهائية بالاستقلال فى تحرى الحقيقة الاقلاع عن اقتفاء أثر الاسلاف وعن التقليد الأعمى ·

وتؤكد البهائية ان دور الدين هو تحقيق الترابط والالفة بين البشر ، اما اذا اصبح هذا الدين سببا للعداء وللبغضاء بين هؤلاء لكان عـدمه افضل من وجوده ، ولذا وجب هجره فى سبيل وحـدة الانسانية · وفى رأينا ان بهاء الله كان يتعامل مع الأديان وكأنها أمر انسانى يمكن الأخذ به أو هجره ، غافلا تماما انها تستند الى وحى سـماوى مما يستحيل معـه التعامل معها مثل تعاملنا مع المذاهب الانسانية · وصحيح أن الدين قـد يصبح اداة لاشعال الفتن والحروب كما شهد بذلك الماضى وكما يشهد بذلك الحاضر ، الا أن هذا لا يعنى التخلى عن الدين ولفظه لانقـاذ الانسانية ، انما يعنى بذل مـزيد من الجهـد لتصحيح فهم الدين · فالدين برىء من تفسيراته وتطبيقاته الخاطئة ، وبرىء من استغلالاته ·

ورفض بهاء الله فكرة أن يكون هناك اناس لا عمل لهم الا تعليم الدين

أو الاشراف على تطبيق شريعته ، أى رفض وجود رجال دين · وذهب الى أن كل فرد فى الجماعة البهائية لابد وأن يكون له عمل منتج · وترتب على هذا الرفض لوظيفة رجل الدين أن رأى انه ليس هناك ما يحتم وجود دور مخصصة للعبادة فحسب ، واذا جعل الصلاة فى أى مكان وفى أى زمان يناسبان المصلى على أن تكون الصلاة يومية ·

وفرض بهاء الله ـ فى محاولته لتنظيم جماعة البهائية اجتماعيا بشكل عام واقتصاديا بشكل خاص ـ نوعا من الضرائب على اتباعه بنسبة تسعة عشر فى المائة (وهو الرقم المقدس عنده) من رأس المال ، وليس من الدخل السنوى ، تسدد مرة واحدة فقط ولا يتكرر سدادها كما هو الحال فى النظم الحديثة · ومجموع هذه الضرائب يمثل دخل الجماعة الذى ينفق منه على احتياجاتها المختلفة ·

وكان بها ءالله شديد الطموح فبعث من عكا برسائلة الى شاه ايران والى رؤساء الدول الاوروبية والامريكية بل والى بابا روما · ولم يتلق جوابا على هذه الرسائل · ولعل مما يحتاج لدراسة وتفسير هو موقف اليهود من البهائية · شجع اليهود البهائية تشجيعا كبيرا بل واعتنقها بعضهم ـ على ما عرف عنهم من امتناع عن ترك دينهم ـ وحاولوا استخراج ما يؤدى دعاواها من العهد القديم ، ولذا ذهبوا الى أن الآيتين السابعة والثامنة من الاصحاح التاسع من سفر اشعياء وهما « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيس السلام ، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داوود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد » انما تشيران اليه ·

٤ ـ عباس بن بهاء الله :

عين بهاء الله ابنه عباس أى عبد البهاء الذى ولد عام ١٢٦٥هـ ـ ١٨٤٤م خليفة له للبهائية · وتولى عباس الذى تلقب بعبد البهاء رئاسة البهائية وله من العمر اربعة وأربعين عاما وكان أبوه قد اطلق عليه «الغصن الأعظم » اختصارا لغصن الله الأعظم » · ومنذ توليه الرئاسة عمل على التخلص من منافسه اخيه ميرزا محمد على الذى كان أبوه قد اطلق عليه

لقب « الغصن الأكبر » وكان التاريخ يعيد نفسه باستمرار بالنسبة لهـذا المذهب ، فكما احتدم الصراع بين بهاء الله واخيه صبح ازل وكتب النصر لبهـاء الله ، نشب الصراع على الزعامة مرة اخـرى بين ابنى مؤسس البهائية • ومرة اخرى انقسمت البهائية فمنها من اتبع عباس وهم العباسية ويمثلون الأكثرية ، ومنهم وهم الأقلية من انضم لميرزا محمد على واصبح يطلق عليه اسم الموحدين • وامتاز عباس بثقافة رفيعة تفوق ثقـافة أبيه حتى أن بعض الباحثين يعتقد انه هو المؤلف الحقيقى لكتب أبيه • وبفضل هذه الثقافة الواسعة وبفضل ذكائه الشـديد ومهارته فى الاتصال بجميع المستويات استطاع أن يكتسب العديد من الانصار كما استطاع أن يفسر المذهب البهائى بطريقة عصرية مقبولة جعلت الـكثيرين يعتبرونه صاحب البهائية الفعلى • وعلى عـكس ما فعـله ابوه مع البـاب عندما ابطل كل ادعاءاته ليدعى لنفسه الالوهية ، احترم عبـاس ادعاءات وآمال أبيـه • وكان واقعيا متواضعا مدركا للتغير الذى طرأ على العقول والنفوس فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ذلك التغيير الذى يصعب معه ادعاء الالوهية ، ولذا اعتبر عباس نفسه خادما لأبيه وممثلا له فحسب ولم يطالب اتباعه بعبادته • ونسخ عباس بعض العقائد الفرعية التى كان قد قال بها بهاء الله منها على سبيل المثال الاقرار بصلاة الجماعة ، وتحريم تعدد الزوجات واباحة الخمر والمكيفات فى حالة المرض وهى أمـور كان بهاء الله يقول بعكسها •

وكان عباس ملما بالأديان وبالفلسفة الاسلامية القديمة وبعلم الفلك وبالطبيعيات ، ومع ذلك سمح لأتباعه بتأويل آيات القرآن وشجعهم على ذلك ، على أن يفعلوا ذلك بما يدعم مركزه الدينى ؛ مما يدل على أن الأمر بالنسبة له لم يـكن ايمانا بهذه الهرطقـات التى تـكون البهائية بل كان طموحا لا يعرف حدودا للسـيطرة وللزعامة باسم الدين • وكان أتباعه يتأولون الآيات « اذا قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائـكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » وهى الآيات ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ سورة ص ؛ بأن الله فيها انما هو بهاء الله وما الملائكة المشار اليهم فيها الا اتباع بهاء الله • والنقاش الذى دار بين الله والملائكة هو النقاش الذى

دار بين بهاء الله واتباعه عند اختياره لابنه الأكبر عباس خليفة له . أما ابليس فى هذه الآيات فيرمز لاولئك الذين رفضوا قبول هـذا الاختيار وانحازوا لأخيه ولمنافسه الذى أصبح هو واتباعه من الكافرين !

ونجح عباس افندى فى تطوير البهائية بحيث أصبحت اكثر تمسكا بفكره وحدة الاديان وحب السلام والنزعة للعالمية وللمساواة بين البشر كافة ، أى اصبحت دينا انسانيا عالميا . ومن اقواله المعبرة عن تلك الروح « ان الانسانية واحدة .. والارتباط المعقد بدين أو بجنس أو بدولة يحطم هذه الوحدة ، فلابد اذن من التحرر من المعتقدات التقليدية » . ومن اقواله كذلك « ان الانسانية تحتاج اليوم الى الوحدة الشاملة والوفاق قبـل أى شيء اخر . لقد سيطر السيف على العالم لأكثر من ستة آلاف سنة فلنبحث عن وسيلة أخرى نستبدلها به ! ان الكلمة لا تريق الدماء ولكنها تؤثر على القلوب وتمنح الحيـاة . وبينما للسيف المعـدنى تاثير وقتى ومحدود فان لسيف الكلمة أى لحب الله تاثيرا لانهـائيا . فليشهر هـذا السـلاح » . ومن الجلى ان الرجل كان بليغا يحسن التأثير على القلوب .

وقد التزم عباس بتأدية الشعائر الاسلامية علنا ربما لوجـوده فى بيئة اسلامية ، اما اذا وجـد بين مسيحيين فـكان يعـرف كيف يعلى من شأنه رسالة المسيح ، واذا وجـد بين يهود ادعى ان لموسى اهمية عظمى للجنس البشرى . واحيـانا كان يعلن تمسكه بفكره وحـدة الاديان تلك الفكرة العزيزة على ابيه . يقول فى خطبه له فى كنيسة سان جورج فى وسمنستر بانجلترا نشرت جريدة وادى النيل المصرية ترجمتها العربية فى السبت الموافق ٢٣ ديسمبر سـنة ١٩١١ ، وهو ما يدل على ان الصحافة المصرية كانت تهتم اهتماما ملحوظا بعباس هذا . يقول : « فغاية ما يكون الحادث يستفيض الفيض التام من حضرة القديم فلننظر الى آثار رحمـة الله فى المظهر الموسـوى ، والى الانوار التى سطعت من الافق العسوى ، والى السراج الوهاج اللامع فى الزجاج المحمدى علية الصلاة والسلام ، وعلى الذين بهم اشرقت الانوار وظهرت الأسرار وشـاعت وذاعت الاثار على ممر الأعصار والادهار » . وواضح هنـا ان الاديان ليست الاديان

الثلاثة السماوية فحسب انما هى تلك المجموعة التى آمن بها أبو٠كان عباس يعرف ما يقال ولن يقال وقد ورث تقليد التقية هذا عن أبيه بالطبع ٠

ولم يرسل عباس كما فعل أبوه من قبل رسلا أو رسائل الى البلاد المختلفة بل ذهب بنفسه الى انحاء العالم الغربى بالذات شارحا دعوته ٠ ولقد ألقى عدة محاضرات فى جامعة أكسفورد فى انجلترا ، وذهب الى باريس ، والى سويسرا ، وكذلك حاول لفت الأنظار الى دعوته فى أمريكا الشمالية حيث صادف بعض النجاح ٠ وقد جاء عباس بن بهاء الله الى مصر فى عام ١٩١٠ وهو فى السبعين من عمره دون أن يفصح عن حقيقة الهدف من زيارته بل اكتفى بجس النبض ٠ ونجح فى تكوين علاقات مع بعض المفكرين ومنهم الشيخ على يوسف الذى خدع فيه وفى دعوته فاثنى عليهما دون أن يفطن لحقيقة الرجل ولا لحقيقة دعوته الهادمة لأى دين سماوى ٠ ولقد استطاع الشيخ رشيد رضا أن يتبين حقيقة المذهب البهائى فكتب فى المنار مقالتين ألقى فيهما الضوء على هذه البدعة فترك عباس البلاد على أثرهما مدركا أنه قد فشل فيها ، فحيث يوجد العلماء الذين يعرفون كيف يؤدون رسالتهم لا تستطيع البدع أن تستقر ٠

توفى عباس فى عكا فى ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢١ ودفن مع الباب ومع أبيه بهاء الله ٠ ولم يكن من أبنائه من هو جدير بخلافته ولذا عين حفيده شوقى ربانى وهو ابن ابنته فى هذا المنصب ٠ وقد درس شوقى هذا فى أكسفورد بعد أن درس فى جامعة بيروت ، وهو مثقف ثقافة رفيعة ومع هذا تدهورت أحوال المذهب البهائى فى عهده ٠ وربما تكون ثقافته هذه هى السبب فى ذلك ، فالعقل اذا ما اقترب من الحقيقة يصعب عليه أن يخدع الآخرين بغيرها ٠ ولقد توفى شوقى هذا عام ١٩٥٧ ٠

وقبل ان ننهى الحديث عن عباس وخليفته لنا أن نعرض لمؤلفات عباس ٠ لعباس مجموعة من الخطب والرسائل جمعت وطبعت فى القاهرة بعنوان « كتب وخطب عبد البهاء » ، أما الغرب فلا يعرف الا أحاديثه مع السيدة لورا كليفورد بارنى التى أدلى لها بها فى عكا وسمح لها بنشرها ٠ "Les leçons de Saint Jean d'Acre" ، ٠ وفى هذه الأحاديث يتجلى حسه الفلسفى النقدى والطابع الحديث للغاية والممتزج بمسحة صوفية شرقية للفكرة ٠

٥ ـ البهائية في العالم :

ربما تكون المسألة الملحة علينا ونحن في هذا المقام هي مسألة علاقة البهائية بسائر الاديان وبالذات بالدين الاسلامي • ان البهائية تعلن باصرار انها شريعة قائمة بذاتها ودين جديد سماوي له احكام وحدود تشتمل على كل المبادىء الضرورية لحياة اجتماعية فاضلة ، وانها ليست بحال من الاحوال مذهبا اسلاميا وبالرغم من هذا فهي تدعو الى الايمان بالله وبملائكته وبكتبه وباليوم الآخر وهي تعترف بكل الاديان وخاصة بالدين الاسلامي • وفي رأيها ان هذا يجعلها تختلف عن غيرها من الاديان الغير منزلة مثل المجوسية التي لا تعترف بالاديان الثلاثة ولا برسلها • واصرارها على كونها دين يختلف عن سائر الاديان ولا ينتمي الى اي منها امر تبرزه بقوة في وجه كل من يهاجمها بدعوة انها خرجت على الدين الاسلامي مثلا • وليس بغريب أن يكون المسلمون هم الذين ينفردون بالتصدي لها فتفسير ذلك ان المسلمين يعتقدون ان البهائية فرقة « حرفت » الاسلام ولذا لابد من ضربها • ويؤكد البهائية انهم بالرغم من نشأة بهاء الله في احضان البابية وهذه بدورها كانت قد نشأت في احضان فرقة شيعية هي الشيخية ، ليسوا مسلمين • ولعل هذا ما ينبغي أن نلتفت اليه نحن المسلمين وندركه تماما • فيجب أن نتعامل مع البهائية كما نتعامل مع سائر اتباع الديانات الغير منزلة لا كما نتعامل مع الخارجين على الاسلام •

أما موقف البهائية من اليهود فمسألة اخرى يجب التوقف عندها • فعباس كان متفاهما مع اليهود الى اقصى حد وكان يرى أن النجاح الذي بدأ اليهود يحققونه في « عهده » دليل على عظمة بهاء الله وعلى عظمة دورته الالهية • يقول عباس في كتاب المفاوضات في تفسيره للاصحاح الحادي عشر من كتاب اشعيا « ان بني اسرائيل يجتمعون في دورته بالارض المقدسة وتجتمع امة اليهود المتفرقة في الشرق والغرب والشمال والجنوب ••• الاسرائيليون في جميع العالم لم يجتمعوا في الدورة المسيحية بالارض المقدسة • اما في بداية دورة « حضرة بهاء الله » فقد ابتدأ يتحقق هذا الوعد الالهي المنصوص عليه في جميع كتب الانبياء • وانت تلاحظ وترى ان طوائف اليهود يأتون الى الارض المقدسة من اطرافه

العالم ، ويمتلكون القرى والاراضى ويسكنون ويزدادون يوما بعد يوم حتى تصبح جميع أراضى فلسطين سكنا لهؤلاء » ! ٠ هكذا يرى عباس أن بشائر نجاح جهود اليهود فى الاستيلاء على فلسطين هى دليل قاطع على الوهية بهاء الله ٠ ولم يترك عباس فرصة ليبدى اعجابا عميقا بما صنعه اليهود على مر العصور الا وفعل ٠ مع أن ما صنعوه وما صاغوه من فكر على مر العصور لا يخرج فى رأينا عن كونه تعبير عن عقدة نقص شديدة وعن رغبة فى الانتقام من العالم كله الذى لفظهم ٠ ذهب عباس فى احدى خطبه التى القاها فى المجمع اليهودى فى سان فرنسيسكو فى ديسمبر ١٩١٢ الى أن اليهود ارتقوا بفضل دينهم الى « درجة أصبح معها فلاسفة اليونان يذهبون الى الارض المقدسة ليتعلموا الحكمة من بنى اسرائيل ٠٠٠ حتى أن سقراط الحكيم ذهب الى الارض المقدسة وتعلم الحكمة من بنى اسرائيل ولما رجع الى بلاد اليونان أسس الوحدانية الالوهية ونشر مسألة بقاء الارواح بعد الموت » وهكذا جعل عباس سقراط تلميذا للاسرائيليين وجعله يذهب الى فلسطين ليدعم فكرته عن عظمة الفكر اليهودى !

وموقف الغرب من عباس ومن البهائية هو موقف التشجيع والاحتضان ٠ لقد انعمت عليه بريطانيا بنيشان فرسان الامبراطورية البريطانية فى ٢٧ ابرايل ١٩٢٠ ٠ وفى أمريكا الشمالية التى لا تقدم ابدا من يولع بالجديد وبالخارج على المألوف وجدت البهائية انصارا ونجحت فى تأسيس معبد لها فى شيكاغو واطلقت عليه محفل « مشرق الاذكار » ، كما أصبح لها فيها جريدة تصدر فى ذات المدينة منذ عام ١٩١٠ باسم « نجمة الغرب » فى تسعة عشر عددا هى عدد شهور السنة البهائية ٠ ويمتلك البهائية اراضى فسيحة فى شمال بحيرة ميتشجن ٠ ويرجع البعض انتشار البهائية فى أمريكا الى الدعاية التى قام بها الدكتور ابراهيم جورج خير الله وهو لبنانى مسيحى من أوائل خريجى الجامعة الامريكية ببيروت جاء خير الله هذا الى مصر واشتغل بالترجمة والتجارة والزراعة الا أن النحس لازمه فى كل هذه الأنشطة ٠ أشار عليه الظهرانى أحد أعمدة البهائية فى مصر أن يذهب الى نيويورك داعيا للبهائية على أن يقوم الحاج عبد الكريم بمصاريف السفر ٠ والغريب ان براهيم هذا استطاع أن

يجمع ثروة طائلة من الامريكان الذين اقبلوا على العقيدة الجديدة ·
وعندما اراد عبد الكريم اقتسام هذه الارباح معه وهو الذى مول رحلته
اضطر خير الله الى اعلان خروجه على عباس ومناصره اخيه وخصمه
ميرزا محمد على · ولخير الله هذا عدة مؤلفات البهائية بالانجليزية
منهـــا :

— The door of the religion. Chicago 1891.

— O. Christian : Why do you belive not in christ, U.S.A. Chicago 1917.

ويمكننا القول ان عدد البهائية مع هذا فى امريكا ثابت لا يتزايد ·

وقد نجحت البهائية فى عهد عباس فى أن تقيم معبدين فى تركستان ،
وفى أن تكتسب انصارا عديدن فى مختلف الدول الأفريقية · اما روسيا
فكانت تشجع بهاء الله تشجيعا لاحد له لأسباب سياسية ليكون هو واتباعه
اداتها لتحقيق اغراضها فى ايران · وللبهائة فى روسيا معبدان احدهما
فى باكو — بادكوبة » ، والثانى فى عشق اباد · اما ايران منبت هذه
العقيدة فقد قاومتها اشد المقاومة كما راينا وكذلك فعلت الدولة
العثمانية والهند ·

اما فى مصر فكان للبهائية محفل هو « المحفل الروحانى المركزى
البهائى بالقطر المصرى » · وكان يقع فى القاهرة · وكان للبهائية دعاة
عديدون فى مصر منهم الملا على التبريزى ومن بعده ابنه حسين افندى
روحى الذى أصدر فى القاهرة بدءا من عام ١٩٠٤ مجلة شهرية تدعو
للبهائية واطلق عليها اسم « لسان الأمم » · وكان الرجل وابنه صاحبى
مدرسة فى القاهرة هى مدرسة العباسية نسبة الى عباس بن بهاء الله ·
ومن الدعاة البهائية كذلك ميرزا حسين الخراسانى وعبد الكريم الطهرانى
الذى تراجع عن هذه البدعة وتاب وعاد الى حظيرة الاسلام ، وفرج الله
زكى الكردى صاحب مطبعة كردستان بالحسينية · وكان يدخل الجامع
الأزهر بحجة طلب العلم ثم انكشف امره بنشره « للدرر البهية » ، فطرد
منه · ومن دعاة البهائية الاساسيين فى مصر أبو الفضل الجرفادقانى
الايرانى الذى ذهب الى أمريكا داعيا لعقيدته · ولقد اختلف موقف

العلماء المصريين من عباس افندى ممثل العقيدة البهائية اختلافا بينا عند زيارته لمصر • وان دل هذا على شىء فانما يدل على الجهل بحقيقة هذه العقيدة من قبل البعض فلقد سبق أن أشرنا الى امتداح الشيخ على يوسف له •

ومن المصريين من ساير دعاة البهائية حتى يقفوا على مكنونها ثم يفضح أمرها • ومن هؤلاء محمد فاضل صاحب الكتاب الشهير « الحراب فى صدر البهاء والباب » •

الخـــــاتمة

يذهب بعض الباحثين وغالبيتهم من المسلمين الى أن الاختلاف بين كل من البابية والبهائية يكاد لا يذكر بحيث لا يمكننا القول انهما عقيدتان مختلفتان ، وهم يرون ذلك فيما يبدو لنا لأنهم يدرسون هاتين العقيدتين بدافع وحيد وهو انكار كل صلة لهما بالاسلام • ويذهب فريق اخر وهو الذى نشاركه الرأى بعد أن اتضحت لنا الفروق الجوهرية بين المذهبين الى أن عقيدة الباب تغيرت كثيرا على يدى بهاء الله الذى غالى فى النزعة الانسانية وفى محاولته للتجديد بحيث باتت البهائية غريبة تماما عن الاسلام الذى ادعت البابية أنها نبتت فى أحضانه • فبينما كانت البابية محاولة لتجديد التشيع الامامى وخاصة التشيع الاثنى عشرى فى بدء الامر وان انحرفت عن هذا الهدف فى تطورها ، تحررت البهائية تماما من كل قيد فكانت « دينا » جديدا تماما وربما كان المفهوم الوحيد الذى احتفظت به البهائية من التراث الشيعى الامامى بعد أن غيرت مضمونه تماما هو مفهوم المهدى المنتظر ، وهو ذات المفهوم الذى تمسك به الباب من قبل •

لم يكترث بهاء الله بتحديد الاسلام أو بتعديله بل كان يحاول جاهدا صياغة دين جديد على حد تعبيره لا يمت بأية صلة من الصلات بالاسلام أو بغيره من الأديان ، وان كان يستعين أحيانا ببعض الآيات القرانية لاثبات ادعاءاته فمرجع ذلك لوجوده فى بيئة يسيطر عليها الاسلام ولو جد فى بيئة يهودية لاستعان بالتوراة ، وحجته دائما كانت انه هو الله الذى أوحى لرسله بالكتب المقدسة ليبلغونها للناس • ولهذا

فليس من شأن المسلمين وحدهم اعتبار البهــائية بدعة يجب أن تحــارب باسم الدين بل هــذا شــأن كل أصحاب الاديان السماوية الا اذا نظــر للبهــائية على انهــا من تلك المذاهب التى تصــطبغ بصبغة الدين والتى تظهر من آن لآخر لظروف اجتماعية وسياسية معينة ثم تخبوا باختفاء تلك الظروف ومن شأنها الا يؤمن بها الا كل مولع بالغريب الشاذ ٠ والبهــائيه فى رأينا ما هى الا تلفيق بين بعض مفاهيم الفلسفة الافلوطينية والذيثاغورية من ناحية ومفاهيم الفــكر الشيعى الاسماعيلى من جهــة ثانيــة والنزعة الانسانية للعالمية ولمساواة من جهة ثالثة ، وقــد استطاع بهاء الله هذا التلفيق لالمامه بالفلسفات المختلفة وبكافة الاديان ٠

وفى عهد عباس اصطبغت البهائية بطابع الحضارة الغربية مما خفق من حــدة كثير من الأراء المغــالية التى كان ينادى بها بهاء الله ، فقــد استطاع عباس أن يحرر المذهب من هــذا التناقض الذى كان قائمــا بين الاراء العالمية التقدمية التى دعى اليها أبوه بهاء الله وبين بعض الاصول الرجعية التى تمسك بها ، فوفق بين البهائية وبين بعض مفــاهيم الفــكر الغربى فى سبيل تخليص الدعــوة من الخزعبلات والخرافات التى كانت عالقة بها زمن أبيه ٠ ويمكننا القول ان البهائية فى عهد عباس أصبحت تلخص كل آمــال وأحـــلام اليهــودية والمســيحية والاســلام والبــوذية والماسونية معــا ؟

ولقــد أصبحت كلمة البهــائية حاليا مرادفة لمفهوم التحرر الدينى ، ومن هنا نفور الاسلام السنى منها ، أى أن هذه الــكلمة اصبحت تشير الى معنى قريب من كلمة زنديق التى كان الاســلام يستخدمها فيما مضى للدلالة على الخارجين على الدين ٠ اما فى ايران حيث الاسلام الشيعى فقد أصبحت هذه الكلمة لا تعنى أصحاب العقيدة البهائية كما أرساه بهاء الله وحسب بل بقى أيضــا العقلانيين المتحــررين دينيا ٠ وكان أنصــار البهائية يتوقعون لها نجاحا عظيما فى الربع الأول من هذا القرن خاصة فى ايران الا ان هذا لم يتحقق على الاقل حتى الان بل كانت البهائية تبدو بدعة لا أكثر ولا اقل ٠ والبهائية يتمسكون بالتقية ولهذا من الصعب وضع احصاءا دقيقا لهم وان كان عددهم فى ١٩٧١ كان يقدر تقريبا باكثر من

نصف مليون ينتمون لأكثر من مائة جنسية ، بينما كان جولدزيهر يشير الى أن عددهم فى الربع الاخير من هذا القرن يبلغ الثلاثة ملايين ·وان صح هذا لكان معدة ان موجة البهائية تنحصر · ولقد أصبح البهائية الان الفقهاء منهم والناس العاديون يتقبلون فكرة أن البهائية لا تمثل فرقة من فرق الاسلام بل انها عقيدة عالمية ولذا أصبحوا يدعون لها ليس بين المسلمين فحسب بل بين أصحاب كافة المعتقدات وحاليا أصبح لهم دور عبادة غير تلك التى ذكرناها سالفا فى كل من ايلينوى وفرانكفورت وكمبالا وأوغندا وسيدنى وفى عام ١٩٧٠ بداوا فى تأسيس معبد فى بنما ·

وبالرغم من كل شيء فقد خيبت البهائية آمال أصحابها ومن كانوا يساندونهم وخاصة اليهود الذين اقروا بحق اتباعها فى ممارسة شعائر عقيدتهم ، ووجدوا فى الاشارة — فيما ادعى بعض علمائهم — اشارة الى أن بهاء الله وابنه عباس من بعده سيعيدان مجد يهودا على جبل الكرمل ·

المراجـــــــع

ـ أمين (أحمد) : المهدوى والمهدوية ـ سلسلة اقرأ العـدد ١٠٣ ـ دار المعـارف مصر ٠

ـ صبحى (احمد محمود) : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ـ تحليل فلسفى للعقيدة ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩ ٠

ـ اسلمنت (ج ٠ ١ ٠) : بهـاء الله والعصر الجديد ـ ترجم باذن واجازة المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بالقطـر المصرى بمعرفة لجنة النشر والترجمـة البهـائية ـ مصر ـ بدون تاريخ ٠

ـ ميرزا عبد الحسين اواره : الـكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البـابية والبهائية ، ترجمة عن الفارسية أحمد فائق رشد ـ نشر عزت العطار ـ القاهرة ٠

ـ فاضل (محمـد) : الحراب فى صدر البهـاء والبـاب ١٩٢٤ ـ دار التقدم ـ القاهرة ١٩١١ ٠

ـ قبعين (سلم) : عبد البهـاء والبهـائية ـ مطبعة العمـران ـ مصر ـ بدون تاريخ ٠

ـ كتاب تاريخ ومبادىء البهـائية من محـادثات عبد البهـاء فى لنـدن وباريس وأمريكا ـ ترجمة عن الانجليزية ـ مطبعة رعمسيس بالفجالة ـ مصر ـ بدون تاريخ ٠

ـ ميرزا محمد مهـدى خـان : مفتـاح باب الابواب ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلة المنار الاسلامية ـ القاهرة ١٣٢١هـ ٠

ـ نسائم الرحمن : منتخبات من اثار حضرة بهاء الله » ـ طبعت بمعرفه المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بشـمال غـرب أفريقيا ـ بدون مـكان نشر ولا تاريخ ٠

ـ نصحى (عبد العزيز) : البهائيون من أخطر المعاول لهدم الاسلام ـ محاضرة القاها عبد العزيز نصحى فى جمعية الهداية الاسلامية بالقاهرة ـ القاهرة ١٣٥٢ ـ المطبعة السلفية ٠

— Abdul Béha : Les leçons de Saint Jean d'Acre, recueillies par Laura Clifford Traduction Hippolyte Dreyfus Paris 1908.
— Béhà Ullah : Le livre de la certitude-Kitab I-Iqan-Traduction française par Hippolyte Dreyfus-Presses Universitaires de France 1973.
— Béhà Ullah : Les paroles cachées Traduction de H. Dreyfus et Mirza Habib - Ullah - Chicago Paris 19/5.
— Browne (E.G.) : A traveller's narrative written to illustrate the Episode of the Bab-2volumes The University press of Cambridge 1891.
— Brown (E.G.) : Materials for the study of the Babi religion-Cambridge 1918.
— De Gobineau : Les religions et les philosophies de l'Asie centrale-2ème tome Gallimard 1899.
— De Vaux (Barron Carra) : Les penseurs de l'Islam-tome 5 - Paul Geuthner Paris.
— Dreyfus (H) : Essai sur le baha'isme-son histoire, sa portée sociale 3ème édition - Presses Universitaires de France 1962.
— Encyclopaedia Britannica : 15th edition 1973 - 1974 Macropeadia volume II — Micropeadia volume I.
— Encyclopédie de l'Islam: tome I.
— Nicolas (A.L.M.) : Seyyed Ali Mohammed dit le Bab-Paris 1905. - Le Béyan arabe - Le livre sacré du babisme Traduction-Paris 1905.
— Tag (Abd El Rahman) : Le babisme et l'Islam - Recherche sur les origines du Babisme et ses rapports avec l'Islam-Paris 1942.

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحة
اهـــداء :	٣ ـ
المقـــدمة :	٥ ـ ٥
الفصـل الأول	
الشـيعة الامـامية	٩ ـ ٥٥
أولا : نظـرة عامـة عليها	٩ ـ ٢١
١ ـ نظرة تحليلية لنشأة التشيع وتأريخه	٩
٢ ـ مفهوم الامامية عند الشيعة الامامية	١٨
٣ ـ المهدى المنتظر	٢٣
٤ ـ التقيـة والبـداء	٢٥
٥ ـ مقارنة بين الشيعة الامامية والسـنة	٢٨
ثانيـا : الشيعة الاثنا عشرية	٣١ ـ ٣٦
مفهوم الامام والمهـدى المنتظر عندها	٣٣
ثالثـا : الشيعة الاسماعيلية	٣٦ ـ ٥١
١ ـ نظرة تحليلية لنشأتها ولتاريخها	٣٦
٢ ـ نظرية الامامة عند الاسماعيلية	٤١
٣ ـ الدعـوة	٤٤
٤ ـ نظـرية التأويل	٤٧
٥ ـ مصادر التـاريخ للاسماعيلية	٥٠
الخـاتمة :	٥٢
المراجـع :	٥٤

الموضـوع	الصفحة

الفصـل الثـانى

الزيدية :	٥٦ ـ ٧٥
١ ـ زيد بن على بن الحسين مؤسس	
الزيدية وأداؤه المذهبية	٥٦
٢ ـ نظـرة تاريخية على الزيدية	٦٠
٣ ـ نظـرية الامامة	٦١
٤ ـ الزيدية ومفهوم المهدى المنتظر	٦٥
٥ ـ أصول الزيدية	٦٧
٦ ـ أصول الزيدية	٦٧
٧ ـ فرق الزيدية	٦٩
الخاتمـة	٧٣
المراجـع	٧٤

الفصـل الثـالث

النصيرية	٧٥ ـ ٩٧
١ ـ تاريخ النصيرية	٧٥
٢ ـ العقيدة النصيرية	٨٠
(أ) الثالوث والتجسيد	٨٢
(ب) التناسخ	٨٥
(جـ) الدعـوة	٨٦
(د) الخضـبر	٨٧
٣ ـ مؤلفاتهم	٨٨
٤ ـ فرق النصيرية	٨٩
٥ ـ الشـعائر والاعيـاد	٩١
الخاتمـة	٩٤
المراجـع	٩٦

الموضـــوع | الصفحة

الفصل الرابع

البـابية والبهـائية .... ٩٧ ـ ١٢٩

أولا : البـــابية ٩٧

١ ـ البـــاب ٩٧
٢ ـ العقيدة البابيـة ٩٩
٣ ـ مؤلفات البـاب ١٠٤
٤ ـ تقييـم ١٠٥

ثانيا : البهائيـة ١٠٧

١ ـ بهـاء اللـه ١٠٧
٢ ـ العقيدة البهائية ١٠٩
٣ ـ فلسفة البهائية الاجتماعية ١١٥
٤ ـ عباس بن بهاء الله ١١٩
٥ ـ البهائية فى العـالم ١٢٢

الخاتمـــة ١٢٥

المراجـــع ١٢٨

الفهـرس ١٣١

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

٢٩٣٨ / ١٩٨٦ م

دار الثقـــافة للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل صــدقي ـ الفجــالة
تليفون ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة

